# التقارض بين ألفاظ الجوارح في القرآن الكريم
# دراسة في ضوء علم اللغة النفسي

**بحث مقدم من / عائشة سالم محمد يوسف**

مدرس أصول اللغة ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

مدينة السادات ـ جامعة الأزهر

(العدد الرابع والثلاثون )

(الإصدار الثاني .. أكتوبر )

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م)

# التقارض بين ألفاظ الجوارح في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللغة النفسي

**عائشة سالم محمد يوسف.**
**مدرس أصول اللغة ــ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ـ مدينة السادات ــ جامعة الأزهر**
**البريد الإلكتروني** : Aeshasalem.419 @azhar.edu.eg

**ملخص البحث**

هذا البحث بعنوان **التقارض بين ألفاظ الجوارح في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللغة النفسي.**

يهدف إلى دراسة ظاهرة التقارض بين أفعال الجوارح في القرآن الكريم دراسة قائمة على مراعاة البعد أو المكون النفسي، والقرآن الكريم يستعين بظاهرة التقارض بين أفعال الجوارح للدلالة على تعميق التأثير وشدة الوضوح؛ حيث تجد التوافق التامّ بين الحواس المستدعاة والمواقف.

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة .

**وقد توصل البحث إلى عدة نتائج منها**

. أن التقارض بين ألفاظ الجوارح كان أكثر وقوعه في ألفاظ البصر، وهذا ما أثبتته هذه الدراسة.

. كما أكدت هذه الدراسة على أن مواضع التقارض والتراسل بين الجوارح محل الدراسة الذي يعد عدولًا عن الأصل إنما جاء مراعاة للحالة النفسية للمخاطب أو المتكلم، وكأن القرآن الكريم وظَّف ظاهرة التقارض بين الجوارح وجعلها وسيلة للكشف عن مكنونات النفس، وهذا يعد من قبيل علم اللغة النفسي ..

**الكلمات المفتاحية:** التقارض ـ ألفاظ الجوارح ـ الحواس ـ علم اللغة النفسي ـ اللسانيات التطبيقية .

# the contrast between the words of the prey in the Holy Qur'an, a study in the light of psycholinguistics

**Aesha Salem Mohammed Yosof**
Department of Language Origins, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls - Sadat City , Al-Azhar University, Cairo, Egypt.
**Email: Aeshasalem.419 @azhar.edu.eg**

**Abstract**:
This research is entitled the contrast between the words of the prey in the Holy Qur'an, a study in the light of psycholinguistics.
It aims to study the phenomenon of contradiction between the actions of the prey in the Holy Qur'an, a study based on taking into account the psychological dimension or component. Where you find the perfect harmony between the summoned senses and situations.
This research was organized into an introduction, a preface, four chapters, and a conclusion.
The research reached several results, including:
The contrast between the words of the limbs was more frequent in the words of the sight, and this is what this study proved.
This study also confirmed that the positions of contrast and correspondence between the prey under study, which is a departure from the original, came to take into account the psychological state of the addressee or the speaker, as if the Holy Qur'an employed the phenomenon of contrast between the prey and made it a means to reveal the innermost parts of the soul, and this is a form of psycholinguistics ..

**Keywords**: Correlation - words of prey - senses - psycholinguistics - applied linguistics.

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة، الحمد لله الداعي إلى بابه، الموفق من شاء لصوابه، أنعم على خلقه بإنزال كتابه بلسان عربي مبين جلّ أن يشابه كلام المخلوقين، أحمده سبحانه وتعالى حمدًا طيبًا مباركًا فيه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ـ ﷺ، أفصحِ العرب لسانًا، وأبينِهم حُجة، وأقومِهم عبارة، وأرشدِهم سبيلًا، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

فإذا كانت هذه الجوارح التي أنعم الله بها علينا هي السبيل الأول للتعرف على الكون والنظر فيه والتدبر، فإن القرآن الكريم تبنى لغة حسية تتلاءم مع المتلقين؛ بل إن الأمر تعدى ذلك إلى أن أناط بهذه الجوارح التكاليف، والعبادات، يحكي هذا قول الله تعالى ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾**﴾ [الإسراء:٣٦]، فهذه الآية تنص على أهمية الحواس في تكوين المعرفة لدى الإنسان .

**ـ أسباب اختياري لهذا الموضوع وأهميته:**

وقد دعاني إلى دراسة هذا الموضوع أسباب، منها:

. إثبات أنه يمكن أن تتعاون الحواس في المعرفة وتتجاوب، فمثلا قد يحل السمع محل البصر، أو يحل التذوق محل النظر، فترى عينًا تسمع، وعينًا تتلذذ، وقلبًا يُصغي، وعينًا تعقل، وجوارح تشم وهكذا، وهذا التعاون أو التقارض إنما يُستعان به مراعاة لجانب نفسي في شخصية المتكلم أو المخاطب، وعلم اللغة النفسي أحد مجالات علم اللغة التطبيقي(١).

(١) على أساس أن علم اللغة ينقسم إلى فرعين أساسين هما : علم اللغة العام أو علم اللغة النظري ، وعلم اللغة التطبيقي ، وعلم اللغة النفسي يعد فرعًا من فروع علم اللغة التطبيقي . ينظر/ علم اللغة النفسي د. عبد العزيز إبراهيم العصيلي/ ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م / صـ١٧ ، ١٨، وينظر العربية وعلم اللغة الحديث د. محمد محمد داوود / دار غريب ـ القاهرة/ ٢٠٠١م / صـ ٨٩ وما بعدها.

ـ معرفة تلك العلاقة المتبادلة بين "اللغة والنفس البشرية أو بين اللغة والعقل البشري القائمة على التأثر والتأثير، فاللغة تؤثر في النفس البشرية، كما أن النفس البشرية تؤثر في اللغة .

. الكشف عن وجود علاقة بين المضمون الدلالي للكلمة، والمضمون النفسي لها، " فلكل كلمة من الكلمات مضمون منطقيٌ ومضمونٌ أو ارتباطٌ نفسيٌ، والمضمون المنطقي هو المعنى الذي ينص عليه القاموس، ولا يمكن استعمال الكلمة بمضمونها المنطقي مفصولا عن مضمونها النفسي، ولا بهذا مفصولا عن ذاك، ولكن الكلمة عندما تنطق أو تسمع فإنها تتضمن المعنيين المنطقي والفلسفي"(١)؛ لذا ينبغي عند تحليل النص اللغوي أن يُنظر إليه على أنه وحدة متكاملة مكونة من عناصر أساسية يمكن حصرها في البنية اللغوية للنص، وعناصر فرعية يمكن حصرها في البنية النفسية لهذا النص .

**ـ أسئلة البحث:**

يحاول هذا البحث الإجابة على هذا التساؤل الذي أثارته نفسي وحدثتني به، وهو (ما الفرق بين الجارحة والحاسة؟)، فكثيرًا ما كنت أستعمل اللفظتين في الدلالة على(ما يدرِك به الإنسانُ الأشياءَ) فالإنسان يدرك الأشياء ويتعرف عليها عن طريق حواسة أو جوارحه، ولكن استوقفني استعمال التعبير القرآني للفظتين، فرجعت إلى كتب اللغة والتفسير لأتبيَّن الفرق الدلالي بين اللفظتين، يضاف إلى ذلك أنه كثيرًا ما استوقفتني مواضع تقارض بعض الجوارح ألفاظ بعضها في القرآن فكنت أتساءل عن سبب التقارض، فكان هذا البحث محاولة للإجابة على هذه التساؤلات.

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي/ محمود السعران/ دار الفكر العربي/ط٢ – القاهرة ١٩٩٧/ صـ٢٢٦.

**ـ مشكلة البحث:**

تكمن مشكلة هذا البحث في قلة المؤلفات حول ظاهرة التقارض في ألفاظ الجوارح في القرآن الكريم، فلم يقع بين يدي مؤلف يبحث في هذه الظاهرة اللهم إلا بعض المؤلفات التي تحصر ألفاظ الجوارح في القرآن الكريم، أما هذه الظاهرة وربطها بعلم اللغة النفسي فلم أعثر على شيء من هذا القبيل.

**ـ الحدود الموضوعية للبحث:** تتعلق الحدود الموضوعية للبحث بدراسة ظاهرة التقارض بين أفعال الجوارح في القرآن الكريم دراسة قائمة على مراعاة البعد أو المكون النفسي، والقرآن الكريم يستعين بظاهرة التقارض بين أفعال الجوارح للدلالة على تعميق التأثير وشدة الوضوح؛ حيث تجد التوافق التام بين الحواس المستدعاة والمواقف، على سبيل المثال تجد أن القرآن الكريم استخدم التقارض بين جارحتي (العين، والعقل) في قصة (السامري) لتصوير شغف نفس (السامري)، وولعها بالسُّلطة والجاه، فجاء التعبير القرآني لتصوير هذه النزعة النفسية التي تملكت منه أن جعلته يتقن فنًا لم يتقنه أحدٌ من قومه؛ ليكون له بذلك عليهم حق الطاعة والسلطة.

**ـ المنهج المتبع في هذا البحث:**

اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج الوصفي[١] بأدواته[٢] المتمثلة في (العد الحسابي)، والتحليل، حيث قمت بحصر المواضع محل

---

(١) وهو المنهج القائم على وصف الظاهرة اللغوية كما هي عليه في وقت معين، أي أنه يبحث اللغة بحثا عرضيا لا طوليا، ويصف ما فيها من ظواهر لغوية مختلفة، ويسجل الواقع اللغوي، تسجيلا أمينا / ينظر / المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/ رمضان عبد التواب/ مكتبة الخانجي بالقاهرة/ط٣/ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م/ صـ ١٨١.

(٢) يقصد بالأدوات تلك الأشياء التي تعين وتساعد في تطبيق هذا المنهج ، ويفرق بينها وبين المنهج في أن " الأدوات غير قائمة بذاتها، ولا توجد إلا بوصفها عناصر من مجاميع قائمة بذاتها أما المنهج فهو كيان مستقل بذاته" / ينظر / اللغة جوزيف فندريس (١٣٨٠هـ) / تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص/ مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م/ (ص: ٤٢٤).

الدراسة ثم تصنيفها ثم دراستها دراسة تحليلية، مع الاعتماد على كتب اللغة، وكتب التفاسير، ومراعاة الجانب النفسي للمتكلم أو المخاطب .

**ـ خطة البحث:**

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، أما المقدمة فعرَّفت فيها بموضوع البحث، وأسباب اختياري له، ومشكلة البحث، وأسئلته، وحدوده، والمنهج المتبع في الدراسة، وخطة البحث وتقسيمه، وأما التمهيد وعنوانه: التعريف بمصطلحات عنوان البحث الأساسية، وفيه خمسة مطالب:( الأول : مفهوم التقارض، الثاني: مفهوم الجوارح، الثالث: بين الجارحة والحاسَّة، الرابع: ألفاظ جوارح الإنسان وتنوع التعبير عنها في القرآن الكريم، الخامس:علم اللغة النفسي تعريفًا وموضوعًا)، وأما المبحث الأول وعنوانه:(التقارض بين ألفاظ جارحة (العين) وبعض الجوارح الأخرى )، وأما المبحث الثاني وعنوانه (التقارض بين ألفاظ جارحة (القلب) واستئثارها بألفاظ بعض الجوارح الأخرى)، وأما المبحث الثالث وعنوانه: (التقارض بين جارحة (اللسان) وجوارح البطش)، وأما المبحث الرابع وعنوانه (التقارض بين حاسة الشم وجميع الحواس)، ثم تأتي الخاتمة لتتناول أهم النتائج التي توصل البحث إليها، ثم الفهارس المتنوعة لتسهيل عملية البحث .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل""

## التمهـــيد: تحرير مصطلحات عنوان البحث :ـ

### ـ مدخل :ـ

تعد ظاهرة (التقارض) إحدى الظواهر اللغوية التي مبناها على المعنى ويؤدي فيها المعنى دورًا بارزًا، كما أنها تعتبر دليلًا على سعة اللغة ومرونتها؛ لذا كانت هذه الظاهرة أجدر بالبحث والدراسة، فهذه "الظاهرة تعد من مظاهر اتساع اللغة كالتضمين، والاشتقاق، والاشتراك، والتضاد، والترادف ....، فعن طرق التقارض يستطيع المتكلم أن يقلب الكلام على وجوه عدة، وعلى كل وجه هو مصيب فيما يتوجه إليه بشرط أن يكون معه سند من السماع ووجه من وجوه التوجيه الصحيحة، وهذا يؤكد أن لغتنا العربية مرنة وطيعة وليست جامدة تقف عند لون معين من ألوان التعبير.

فالتقارض يمثل نوعًا من أنواع الطرافة والمُلحة في التعبير، وقد تحدث (ابن هشام) عنه بإيجاز شديد، وألمح عنه بإشارة عجلى في الصفحات الأخيرة من كتابه الذي طبّقت شهرته الآفاق (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)..." [1]

(١) ظاهرة التقارض في النحو العربي/ أحمد محمد عبد الله مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، ورقم الجزء هو رقم العدد من المجلة (٥٨/ ٢٣٣).

## ـ المطلب الأول مفهوم التقارض :ـ

تفيد مادة (قرض) في كتب اللغة معاني كثيرة، أشهرها: الإعطاء والأخذ.

فها هو (ابن فارس) يقول :" القاف والراء والضاد أصل صحيح، وهو يدل على القطع، يقال: قرضت الشيء بالمقراض. والقرض: مَا تُعْطِيهِ الْإِنْسَانَ مِنْ مَالِكَ لِتُقْضَاهُ...، ويقال: إن فلانًا وفلانًا يتقارضان الثناء، إذا أثنى كل واحد منهما على صاحبه، وكأن معنى هذا أن كل واحد منهما أقرض صاحبه ثناء كقرض المال" [(١)]، " والقَرْضُ والقِرْضُ: مَا يَتَجازَى بِهِ الناسُ بَيْنَهُمْ ويَتَقاضَوْنَه، وَجَمْعُهُ قُرُوضٌ، وَهُوَ مَا أَسْلَفَه مِنْ إِحسانٍ وَمِنْ إِساءة، وهما يتقارضان الخير والشر أي يتبادلان)"[(٢)]، هذا هو التقارض بمعناه العام كما ذكرته كتب اللغة .

أما التقارض الاصطلاحي فيعد(الزمخشري) أول من صرَّح بهذا المصطلح (التقارض) في مفصله، وذلك في قوله :" واعلم أن إلا وغيرًا يتقارضان ما لكل واحد منهما..." [(٣)]

وفي ضوء عبارة (الزمخشري) هذه يمكن تعريف ظاهرة (التقارض) بما يأتي: "أن تُعطي كلمة حكما يختص بها إلى كلمة أخرى لتعامل معاملتها، كما تُعطي الكلمة الأخرى حكما يختص بها إلى الكلمة الأولى لتعامل معاملتها أيضا، وبعبارة أخرى: الاقتراض هو تبادل الأحكام بين كلمتين بحيث تعطي

---

(١) مقاييس اللغة / أحمد بن فارس /تح: عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/ ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م (٥/٧١ ، ٧٢) (ق ر ض).

(٢) لسان العرب/ ابن منظور/ دار صادر – بيروت/ط٣ – ١٤١٤ هـ (٧/ ٢١٦) ( ق ر ض).

(٣) المفصل في صنعة الإعراب الزمخشري / تح: د. علي بو ملحم/ مكتبة الهلال – بيروت/ط١، ١٩٩٣م صـ ٩٩ .

كل كلمة الحكم الذي يختص بها إلى الكلمة الأخرى، سواء كانت هذه الكلمة اسما أم فعلا أم حرفا...." [1].

وإذا كان الزمخشري توصل إلى هذا المصطلح، فإن(ابن جني) شرح في عبارة معنى التقارض حين قال : " وهذا عادة للعرب مألوفة وسنة مسلوكة: إذا أعطوا شيئًا من شيء حكمًا ما قابلوا ذلك بأن يعطوا المأخوذ منه حكمًا من أحكام صاحبه عمارة لبينهما وتتميمًا للشبه الجامع لهما، وعليه باب ما لا ينصرف ألا تراهم لما شبهوا الاسم بالفعل فلم يصرفوه؛ كذلك شبهوا الفعل بالاسم فأعربوه...." [2].

يتضح مما سبق أن أول استعمال التقارض كان في التقارض الحكمي بين الأدوات والأمثلة النحوية، أي أن المتقارضين يأخذ كل منهما حكم صاحبه الإعرابي، حتى عبارة (ابن جني) تضمنت علة الأسماء غير المنصرفة بحملها على الأفعال؛ إذ التنوين لا يدخل الحروف ولا الأفعال، وعلة إعراب الفعل المضارع بحمله على الأسماء ؛ إذ الإعراب، لا يدخل الحروف ولا أكثر الأفعال.

(١) ظاهرة التقارض في النحو العربي (٥٨/ ٢٣٤ ، ٢٣٥).

(٢) الخصائص ابن جني / الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ط٤ (١/ ٦٤).

## ـ المطلب الثاني مفهوم لفظة (الجوارح):ـ

بالرجوع إلى كتب اللغة يتضح أن معنى لفظة ( جرح) يدور حول معنيين : الأول : العمل والكسب بالجوارح، والثاني : نوع معين من الطير والسباع، وفي ذلك يقول (ابن فارس) :" الجيم والراء والحاء أصلان: أحدهما الكسب.....، فالأول قولهم: (اجترح) إذا عمل وكسب، قال الله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الجاثية:٢١]، وإنما سمي ذلك اجتراحا ؛ لأنه عمل بالجوارح، وهي الأعضاء الكواسب. والجوارح من الطير والسباع: ذوات الصيد...." (١)، يقال: " فلان جارح أهله وجارحتهم أي كاسبهم، والجوارح من الطير والسباع والكلاب: ذوات الصيد لأنها تجرح لأهلها أي تكسب لهم، الواحدة جارحة، فالبازي جارحة، والكلب الضاري جارحة...، سميت بذلك لأنها كواسب أنفسها من قولك: جرح واجترح، وفي التنزيل﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ [المائدة:٤]....، وجوارح الإنسان: **أعضاؤه وعوامل جسده كيديه ورجليه، واحدتها جارحة؛** لأنهن يجرحن الخير والشر أي يكسبنه..." (٢)، وعلى هذا فقد سميت الأعضاء الكاسبة للإنسان جوارح لأحد سببين : إما لأنها تجرح أو لأنها تكسب .

**وقد وردت مادة جرح في القرآن الكريم بأربع صيغ، كما في قوله تعالى :ـ**

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾[الأنعام:٦٠]، وقوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾[المائدة:٤٥]، وقوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ

---

(١) مقاييس اللغة / ا بن فارس/تح: عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/ ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م (١/ ٤٥١)(ج ر ح).

(٢) لسان العرب (٢/ ٤٢٣)(ج ر ح) .

﴿مُكَلِّبِينَ﴾[المائدة:٤]، وقوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[الجاثية:٢١].

وأما عن المعنى الاصطلاحي للجوارح وأفعالها فإنه ليس ببعيد عن المعنى اللغوي، فالاجتراح "عند العرب هو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه، وهي جوارح البدن فيما ذكر عنهم، ثم يقال لكل مكتسب عملا(جارح)؛ لاستعمال العرب ذلك في هذه(الجوارح)، ثم كثر ذلك في الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسبًا بأيّ أعضاء جسمه (مجترِح)..."[(١)]

وعلى هذا فإن لفظة (جرح) تطلق في الأصل على الكسب، وأن جوارح الإنسان سميت بذلك إما لأنها تجرح أو لأنها تكسب، كما أن "جوارح الصيد سميت بذلك لكسبها لنفسها أو لمعلمها الذي يصيد بها، وأن الخيل والأنعام المنتجة تسمى جوارح أيضا؛ لأن نتاجها كسبها، فالجرح كالكسب..."[(٢)]

ولما كانت جوارح الإنسان تجترح له الخير أو الشر، أي: يكتسب بهن أُطلق هذا اللفظ على جميع أعضاء الإنسان التي يكتسب بهن الخير أو الشر، نحو اليدين، والرجلين والعينين، والأذنين، واللسان، كما أنه لما كانت جوارح الإنسان وسيلة لتكوين معارفه، وكانت من نعم الله تعالى عليه كانت موجبًا من موجبات استحقاق الله تعالى التوحيد، قال الله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام:٤٦].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن /الطبري/ تح.أحمد محمد شاكر/ مؤسسة الرسالة/ ط١، ١٤٢ هـ (١١/ ٤٠٥).

(٢) تفسير المنار الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٩٠ م (٧/ ٣٩٩).

## ـ المطلب الثالث: ألفاظ جوارح الإنسان وتنوع التعبير عنها في القرآن الكريم [1] :ـ

بالنظر في الاستعمال القرآني لأفعال الجوارح الخمس المشهورة وهي(الأذن، والعين، والأنف، واللسان، والأيدى والأرجل) يتضح أن جارحة (الأذن)، وأشهر أفعالها الفعل (سمع[2]) بمشتقاته إضافة إلى(أنصت، وأصغى) تأتي في المرتبة الأولى، تليها جارحة (العين) بأشهر أفعالها (بصر[3])، إضافة إلى (رأى، ونظر) تأتي في المرتبة الثانية، تليها في المرتبة

---

(١) اعتمدتُ في الدراسة الحسابية في هذا المبحث على كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / د. محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) وردت مادة (سمع) في القرآن الكريم (خمس وثمانون ومائة) مرة على اختلاف صيغها ومشتقاتها ما بين الماضي ،والمضارع ، والأمر ، والمصدر ، واسم الفاعل ،واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وصيغة المبالغة ( سمع ، ويسمع ، يسَّمَّعون ، وأسمِع ، واسمعون ، والسمع ، مُسمِع ، ومستمعهم ، ومستمعون ، ومسمَع، سميع، وسمَّاع)، منها (ثمان وثلاثون مرة) جاءت مقترنة مع مادة (بصر) أو مافي معناها منها:[البقرة:٧ ، ٢٠]، [الأنعام:٤٦]، [الأعراف: ١٧٩ ، ١٩٥] ،[يونس:٣١]، [النحل:٧٨] ، [النحل:١٠٨] ، [الإسراء:٣٦] ، [الكهف:٢٦ ، ١٠١]، [مريم:٣٨ ، ٤٢]،[طه:٤٦] ، [المؤمنون:٧٨] ، [السجدة:٩ ، ١٢]، [فُصِّلَت: ٢٠ ، ٢٢] ، [الجاثية:٢٣] ، [الأحقاف:٢٦]، [المُلك:٢٣] .

(٣) وردت مادة (بصر) وهو الرؤية الظاهرة وكافة مشقاته ، وكذلك البصيرة وهي الرؤية الداخلية عن طريق الحس وكذلك كل مشتقاتها ( ثمان وأربعون ومائة ) مرة ما بين (بصير، وأبصار، وبصيرًا، وأبصارهم ، يبصرون، وتبصرون، والبصر، وبصائر ، ومبصرًا، ومبصرة، وأبصِر، وبصيرة ، وأبصاركم ، وبصُرتُ، وبصرَتْ، ويبصرونهم ، فستبصر، وأبصرنا، وتبصرة، ومبصرون، ومستبصرين، وبصرك، وأبصار) على اختلاف صيغها ومشتقاتها وكذلك تكرر لفظ القلب ومشتقاته (ثنتان وثلاثون ومائة ) مرة ما بين (قلوبهم، والقلوب، وقلوبكم، وقلبه، وقلوبنا، وقلب، وقلبك، وقلبها، وقلبي، وقلبين، وقلوبكما، ولقلوبكم)، وكذلك الفؤاد ومشتقاته (ست عشرة) مرة ما بين (أفئدة ، والفؤاد، أفئدتهم، وفؤادك).

الثالثة جارحة (اللسان) وأشهر أفعالها (ذوق، وطعم[١]) إضافة إلى الأفعال (قال، وجادل، وحدَّث، وحاور، وخاطب، ودعا، وساءل، وقرأ، وكلم، ولغا، ولفظ، ونطق)، ثم جارحة (اليد) بأشهر أفعالها(لمس، ومسَّ [٢]) إضافة إلى الأفعال (أخذ، وبسط، وبطش، وغلل، وكتب، وخط، والتقط )، ثم تأتي بعيدًا عن هذه الجوارح الخمس المشهورة تلك الجارحة التي تعد مناط التكليف وهي جارحة (الدماغ ) بأشهر قواها وهي القوة العاقلة، والتي يعبر عنها بالفعل (عقل) على اختلاف مشتقاته والذي ورد ( تسعًا وأربعين) مرة، إضافة إلى الأفعال الدالة على الوعي والإدراك، والتفكير، والفهم لدى الإنسان مثل الأفعال:(جهل، وحفظ، وخُيِّل، وتدبر، ودرس، ودري، وذكر، وعرف، عقل، علم، فقه، فهم، وعى) .

وبعد عرض أشهر جوارح التحصيل المعرفي وحواسها يأتي الجانب المكمل في التحصيل المعرفي، كما ورد في القرآن الكريم، وهو (القلب) وقد ورد (القلب) في القرآن الكريم بالإفراد والجمع، ومع عدد من الضمائر المختلفة (ثنتين وثلاثين ومائة ) مرة، ومن أشهر الألفاظ التي تعبر عن القلب (الفؤاد، واللبِّ [٣])، وبالنظر في جميع "الآيات التي بيَّنت طرق العلم وتحصيل المعرفة، بإثباتها أو نفيها يتضح أنه يتم ذكر وسائل المعرفة وهي القلب أو الفؤاد مع السمع والبصر، كقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾[النحل:٧٨] ، وقوله تعالى ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ

(١) وردت مادة ( ذوق) في القرآن الكريم ثلاث وستون مرة، بينما مادة (طعم) سبع وعشرون مرة

(٢) وردت مادة (لمس) في القرآن الكريم خمس مرات، بينما وردت مادة (مسس) إحدى وستون مرة

(٣) ورد كل من لفظة (الفؤاد ، واللب) في القرآن ست عشرة مرة .

﴿يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[الحج:٤٦]، وقد جمع القرآن الكريم بين القلب أو الفؤاد وحاسَّتي السَّمع والبصر في حوالي(عشرين ) آية، كلّها تنبئ أن القلب أداة داخلية في الجسم، دورها متكامل مع الحواس الخارجية، بخاصة السَّمع والبصر، كما أنه لم يرد قطُّ ذكر أنَّ غير القلب والفؤاد هو من أدوات العلم، بل رُدَت جميع الوظائف العقلية من (تعقُّل، وتفكُّر، وتدبُّر، ونظر، وتأمُّل، ...) إلى جهة واحدة، وهي القلب أو الفؤاد أو اللب، فحيثما ذكر القلب في القُرآن الكريم يكون إشارة إلى التعقُّل والتعلُّم، فهو محلّ العقْل والفقْه والبصيرة والإرادة والسكون، وهو رئيس البدن وخالص الروح الإنسانية..." [(١)].

بعد هذه التجوالة القصيرة مع ألفاظ الجوارح في القرآن الكريم يتضح أن أكثر الجوارح ورودًا في القرآن الكريم هي جارحة (الأذن) بحاستها السمع تليها جارحة (العين) بحاستها البصر، كما أن أغلب المواضع التي جمعت بين (السمع والبصر) جاءت بتقديم السمع على البصر[(٢)]، ولعل مرد ذلك إلى أن وظيفة (السمع) تطورت ونضجت قبل (البصر)، كما أن حاسة السمع أهم في التعلم والتعليم وأكثر عمقًا ورسوخًا في الذاكرة، فالمعينات السمعية أرسخ من المعينات البصرية يؤيد هذا أن القرآن الكريم تلقاه النبي ـ ﷺ سماعًا، أما عن عناية القرآن الكريم بحاستي (السمع والبصر) عن بقية الحواس فيمكن أن يكون مرد ذلك لأجل تلك الأهمية القصوى لهاتين الحاستين في عملية الإدراك

(١) ينظر في ذلك مقال القلب في القرآن الكريم / د. بلبل عبد الكريم /تاريخ الإضافة /٧/من نوفمبر/٢٠٠٩م – ١٩/من ذي القعدة/١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م . شبكة الألوكة الشرعية.

(٢) من هذه المواضع [البقرة : ٢٠]، [الأنعام : ٤٦] ،[هود : ٢٠] ، [يونس:٣١] ، [النحل:٧٨] [الإسراء:٣٦] ،[مريم : ٤٢]، [المؤمنون:٧٨] ، [السجدة:٩] ، [فصلت : ٢٠ ، ٢٢]،[المُلك:٢٣] .

الحسي، كما أن في الاقتصار على ذكرهما ما يكفي للدلالة على أهمية جميع الحواس في عملية الإدراك الحسي ؛ بحيث إنه يكتفى في الدلالة على نعم الله تعالى على الإنسان بتزويده بأدوات للإدراك الحسي الذي يكتفى فيه بحاستي السمع والبصر، ثم تأتي في المرتبة الثالثة حاسة (الذوق) ثم حاسة (اللمس)، أما حاسة (الشم) فإنها أقل الحواس ورودًا في القرآن الكريم فلم ترد إلا مرة واحدة في سورة (يوسف) عليه السلام، حيث تفوقت جارحتا (القلب، والعقل) عليها في الورود باعتبارهما من الجوارح المكملة في التحصيل المعرفي بعد جارحتي (السمع والبصر) .

ومما يدل على أهمية السمع والبصر في الإدراك والتعلم أن القرآن الكريم أحيانا يذكر السمع وحده مع العقل ؛ للدلالة على العلاقة الوثيقة بين السمع والعقل، كما في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾[الملك:١٠]، وكثيرًا ما يأتي (البصر) بمعنى (العقل) كما في معظم الآيات التي تدعو الإنسان إلى النظر في الكون للتدبر والتفكر والاعتبار، فهو أمر بالنظر ظاهرًا، ولكنه دعوة للتدبر والاعتبار باطنًا ؛ ولهذه العلاقة الوثيقة بين السمع، والبصر، والعقل فإن القرآن الكريم كثيرًا ما يذكر السمع، والبصر بمعنى الفهم والتدبر والتعقل، وهذا يعد من قبيل تقارض الحواس وتجاوبها وتراسلها .

## ▪ المطلب الرابع بين الجارحة والحاسَّة :▪

اختلف العلماء في تحديد المراد من جوارح الإنسان، فمنهم من قصرها على حواسه التي يكتسب بها ومشاعره، فـ" جوارح الإنسان التي يكتسب بها هي حواسه الخمس ومشاعره، وهي السمع، والبصر والشم، والذوق، واللمس، اللهم إلا أن يضاف إلى ذلك الرِّجْل لكونها للسعي، كما أن اليد للبطش..."(١)، أي أن كل آلة يكتسب بها الإنسان، ويدرك بها تعد حاسة أو جارحة "فالآلات التي يدرَك بها حواس كالعين، والأذن، والأنف، والفم..." (٢)، ولقد ارتبطت جوارح الإنسان كلّ الارتباط بعقله كما ورد في ألفاظ القرآن الكريم في مواضع كثيرة مما جعل البعض يضيف (العقل) إلى الحواس الخمس فيكون من مجموع هذه الجوارح آلات تكوين النفس، فها هو (الرازي) يقول: ".... فثبت أن النفس الإنسانية شيء واحد، وثبت أن تلك النفس هي المبصرة ،والسامعة، والشامَّة، والذائقة، واللامسة، وهي الموصوفة بعينها بالتخيل، والتفكير، والتذكر، وتدبير البدن وإصلاحه" (٣) فالرازي بهذا يصنف جوارح الإنسان إلى (البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس، والعقل)، وعلى هذا يمكن تصنيف الجوارح إلى جوارح ظاهرة، وأخرى باطنة بناء على أن "الحواس ظاهرة، وباطنة وكل منهما خمس بالوجدان فالمجموع عشر...، ووجه الضبط أن الحاسة إما مدرِكة أو مُعِينة على الإدراك...، واعلم أن الحواس كلها في الإنسان عند المحققين آلة للإدراك إما لحدوثه أو لحفظه والمدرِك في الحقيقة

(١) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف/صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي تح. الشرقاوي/ مكتبة الخانجي– القاهرة/ط١/ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م صـ ٣٠٧.

(٢) معجم الفروق اللغوية/ العسكري / مؤسسة النشر الإسلامي/ ط١، ١٤١٢هـ صـ ٩٠.

(٣) النفس والروح وشرح قواهما / الإمام فخر الدين الرازي / تح. د. محمد صغير حسن معصومي/ مطبوعات معهد الأبحاث الإسلامية . إسلام آباد . باكستان / صـ٢٩ ..

هو العقل"[١] وإذا كان (العقل)هو المدرك الحقيقي فيمكن أن يُضم إلى هذه الحواس(القلب) الذي "هو وعاء الإدراك السليم، والفهم الصحيح، وهو موطن المعتقدات القائمة على الفهم والإدراك...." [٢]

وعلى هذا يمكن أن يُحمل قول (الرازي) السابق على أن الجوارح المكوِنة للنفس الإنسانية هي الحواس الخمس المدرِكة والتي أشار إليها بقوله: (النفس هي المبصرة، والسامعة، والشامَّة، والذائقة، واللامسة). وآلة كل واحدة منها على التوالي(العين، والأذن، والأنف، واللسان، والجلد ومعه الأيدي والأرجل ). إضافة إلى العقل باعتباره المدرك الحقيقي سواء بالتخيل،أوالتفكير، أوالتذكر، والقلب باعتباره وعاء الإدراك وهو المسئول عن صلاح الجسد، وهذا ما أشار إليه بقوله"وهي الموصوفة بعينها بالتخيل،والتفكير، والتذكر، وتدبير البدن وإصلاحه" .

أي أن الحواس إذن تشمل ما هو محسوس من المدركات التي في الخارج، وذلك بإحدى هذه الحواس، غير أن من أهل العلم من توسَّع في مفهوم الحواس، فأضاف إلى المدركات الحسّية، ما يدرك بالأحاسيس الداخلية، وهي النفسية، ولذا قيل في تعريف الإحساس هو " إدراك الشيء بإحدى الحواس، فإن كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات، وإن كان للحس الباطن فهو الوجدانيات...."[٣] ، فالإحساس فهو :" العلم بالحواس، وهي

---

(١) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون/ القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (١٢هـ) /تعريب/ حسن هاني فحص/ دار الكتب العلمية – لبنان ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م (٢/ ٤ ، ٥)..

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب / دار الفكر العربي – القاهرة (١٠/ ١٦٨).

(٣) كتاب التعريفات/علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني ( ٨١٦هـ)/ دار الكتب العلمية بيروت –لبنان/ ط١ ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م صـ ١٢ .

مشاعر الإنسان كالعين، والأذن، والأنف واللسان، واليد، وحواس الإنسان: المشاعر الخمس وهي : الطعم، والشم، والبصر والسمع، واللمس...." [١]، **وقد عرَّف(ابن الجوزي)الحس وبيَّن آلات الحس الخمس الظاهرة، فقال: "الحس: إدراك النفس ما تدركه بآلات الحس، وآلات الحس خمس:**

إحداها: السمع، وهي (الحاسة) المدرِكة للأصوات، وهي أدق الحواس، وأغمضها، في كيفية تحصيل الإدراك بها، والثانية: البصر، وهي الحاسة التي تدرك بها: المبصرات. وهي أغلظ من السمع، وأدق من غيره.، والثالثة: الشم، وهي الحاسة التي يدرك بها: الروائح الطيبة والكريهة، والرابعة: الذوق، وهي الحاسة التي يدرك بها: الطعوم من الحلو والحامض، وغير ذلك.، والخامسة: اللمس، وهي الحاسة التي يدرك بها: الناعم من الخشن وهي أغلظ الحواس، والإحساس بالشيء العلم به..." [٢] ولما كان أصل الإحساس راجعًا إلى الحاسة التي هي :" القوة التي بها تدرك الأعراض الحسية...."[٣]، أطلق عليه هذا الاسم (الإحساس) مراعاة لدور الحواس في الإدراك .

وإذا كان هذا التساؤل الذي أثارته نفسي وحدثتني به، وهو:(ما الفرق بين الجارحة والحاسة؟) كان هو السبب الرئيس في اختيار موضوع هذا البحث فلله دره (الراغب الأصفهاني) الذي أجلى لي الفرق بين اللفظتين، وذلك أني لاحظت حين حديثه عن أي عضو من أعضاء الإنسان كان يطلق عليه لفظ (جارحة)، فتراه يطلق لفظ (الجارحة)على (الأذن، والأنف، والباصرة، والبطن،

---

(١) لسان العرب (٦/ ٤٩)(ح س س).

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ جمال الدين أبو الفرج الجوزي / تح. محمد عبد الكريم كاظم الراضي/ مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت/ ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م صـ ٢٤٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان الداودي/ دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت/ط١ – ١٤١٢ هـ. صـ ٢٣١ .

والجنب، والصدر، والظهر، والعنق، والعين، واللسان، والمنكب، والوجه، واليد، واليمين [١]) فكل هذه الأعضاء هي جوارح؛ لذا قال:"وسميت الأعضاء الكاسبة جوارح.." [٢] والأعضاء الكاسبة التي" يجرحن الخير والشر أي يكسبنه..."[٣]، واكتساب الخير أو الشر لا يقتصر على الحواس الخمس فقط، فهناك أعضاء أخرى غير الحواس الخمس تعين الإنسان على اكتساب الخير أو الشر يؤيد هذا ما رواه أبو هريرة . ﷺ عن النبي . ﷺ : «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**[٤]»، وزادت رواية الحاكم من الأعضاء الجارحة فأورد ما رواه ابن مسعود . ﷺ عن النبي . ﷺ"«**زِنَا العَيْنَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا الشَّفَتَيْنِ التَّقْبِيلُ، وَزِنَا اليَدَيْنِ البَطْشُ، وَزِنَا الرِّجْلَيْنِ الْمَشْيُ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ الْفَرْجُ، فَإِنْ تَقَدَّمَ بِفَرْجِهِ كَانَ زَانِيًا، وَإِلَّا فَهُوَ اللَّمَمُ** [٥]»

فهذا يؤكد أن كل عضو يعين الإنسان على كسب الخير، أو اكتساب الشر صح أن يطلق عليه (جارحة)،أما حين تحدث(الراغب) عن معنى لفظة (الحاسة) تراه يقول :"الحاسة، هي: القوة التي بها تدرك الأعراض الحسية،

---

(١) ينظر في ذلك المفردات في غريب القرآن صـ (٧٠ ، ٩٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ٢٠٥ ، ٤٧٧ ، ٥٤٠ ، ٥٩٠ ، ٥٩٨، ٧٤٠ ، ٨٢٢ ، ٨٥٥، ٨٨٩ ، ٨٩٣ ).

(٢) المفردات في غريب القرآن صـ ١٩١ .

(٣) لسان العرب (٢/ ٤٢٣).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب (وحرام على قرية أهلكناها ) رقم / ٦٦١٢ ، (٨/ ١٢٥)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب القدَر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا / رقم (٢٦٥٧) (٤/ ٢٠٤٦). .

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه / باب(تفسير سورة النجم) / رقم / ٣٧٥١ (٢/ ٥١٠)، وقال :" حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ".

والحواس: المشاعر الخمس..."[1] وهي"السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس..."[2]، فهو بهذا يقصر الحاسة على القوة التي تدرك، وكأن هناك قوة معينة مرتبطة بكل جارحة من هذه الجوارح الخمس (الأذن، والعين، والأنف، واللسان، والجلد)، فحاسة الأذن (السمع)، وحاسة العين(البصر) وحاسة الأنف (الشم)، وحاسة اللسان (الذوق)، وحاسة الجلد (الأيدي والأرجل) (اللمس)، وهذا ما أكَده الزمخشري في قوله :" الحواس خمس: أدب البصر، والسمع، والذوق، والشم، واللمس ...." [3].

وإذا كانت الجارحة هي كل ما يعين الإنسان على الخير أو الشر سواء أكانت من الحواس الخمس أم لا، فإن كلا من (العقل، والقلب) باعتبارهما من أعضاء الإنسان يعدان من الجوارح، فهما وإن لم يكونا من الحواس الخمس إلا أن لهما عظيم الأثر في حياة الإنسان وسلوكه وأعماله، فهما القائدان وبقية الأعضاء خدم لهما، يؤيد هذا ما روي عن أبي هريرة ـ ﷺ، قال: قال النبي ـ ﷺ «**إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست به صدورها، أو حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلم** [4]»، فوسوسة الصدر يُعنى به خطرات النفس وحديثها، وحديث النفس ما يدور بين العقل والقلب قبل التكلم به ؛ ولهذا أخذ العلماء من هذا الحديث أن كل:" مَا لَمْ يَنْطِقْ بِهِ لِسَانٌ أَوْ تَعْمَلْهُ جَارِحَةٌ وَمَا اعتقد القَلبُ مِنَ المَعَاصِي، وأن حديث النفس وما يوسوس

(١) المفردات في غريب القرآن صـ ٢٣١ .

(٢) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف صـ ٣٠٧ .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي / دار إحياء التراث العربي – بيروت/ط٣ – ١٤٢٠ هـ (١/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور/ باب إذا حنث ناسيًا في الأيمان رقم ٦٦٦٤/ (٨/ ١٣٥).

بـه قلـب الإنسـان لا حكم لـه فـي شـيء من أمـور الـدين..." [١]. كمـا أن هنـاك لطيفة بديعة التفت إليها (الراغب) أثناء حديثه عن (العقل) فقال:"العقل يقال: للقـوة المتهيئـة لقبـول العلـم، ويقـال للعلـم الـذي يسـتفيده الإنسـان بتلـك القـوة عقل..." [٢]، ثم أورد قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ ﷺ

**رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع**

**ولا ينفع مسموع ..... إذا لم يكن مطبوع**

**كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع**" [٣]

أي أن العقل عقلان: "عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل، وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع، فإذا اجتمعا قوَّى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة البصر..." [٤]

فالإمام علي بن أبي طالب ـ ***كرم الله وجهه*** ـ بهذا يقسم العقل باعتباره جارحة إلى عقلين : الأول(العقل)الآلة التي خلقها الله تعالى في الإنسان وجعلها مهيئة لقبول العلم والتعلم، الثاني( العقل) ما استفاده الإنسان من هذه الآلة من علوم ومعارف،" وإلى الأول أشار ـ ﷺ بقوله: «**ما خلق الله خلقا أكرم عليه من**

(١) معالم السنن (٣/ ٢٤٨) ، وينظر / التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٥/ ٨٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن صـ ٥٧٧ .

(٣) ديوان الإمام علي بن أبي طالب . كرم الله وجهه . / جمع وترتيب عبد العزيز الكرم / ط١/ ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٨م. صـ٦٢ .

(٤) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة/ أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى ( ٧١٨هـ) / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م صـ ١٠٩ .

**العقل**[١] » وإلى الثاني أشار بقوله: «**ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى**[٢]»...، وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول...، وكل موضع رفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول ..." [٣] .

يتضح من ذلك أن دلالة لفظ (الجارحة) باعتباره يطلق على كل الأعضاء أعم من دلالة لفظ ( الحاسة) باعتباره يطلق على الحواس الخمس فقط، فكل حاسة جارحة، وليس كل جارحة حاسة، فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، إضافة إلى أن لفظ (الجارحة) تطلق على اسم الآلة أو العضو الذي خلقه الله تعالى، أما لفظ(الحاسة) فيطلق على فعل الجارحة، فجارحة (العين) حاستها البصر، وجارحة(الأذن) حاستها السمع وجارحة (الأنف) حاستها الشم، وجارحة (العقل) حاسته (العلم، والفقه، والوعي والإدراك)، وجارحة (القلب) حاسته (الشعور، والتدبر، والاعتقاد المبني على الفهم والإدراك.....)، وجارحة (اليد) وحاستها (اللمس، والبطش، والأخذ، والكتاب، والخط، والالتقاط ....) فيمكن أن يكون للجارحة الواحدة أكثر من حاسة حسب مهارة الإنسان في تفعيل هذه القوى التي أودعها الله تعالى فيه، فهناك من يكتسب مهارات( الفهم، والتحدث، والقراءة، والكتابة.....) وغير ذلك من المهارات التي تكتسب عن طريق الاستخدام الأمثل لجوارح (العقل، واللسان، واليد) وهكذا يمكن أن نستعيض عن لفظة (حاسة) بلفظة (مهارة) ويقصد بها "

---

(١) أخرجه التِّرْمِذِيّ الْحَكِيم فِي النَّوَادِر بِسَنَد ضَعِيف من رِوَايَة الْحسن عَن عدَّة من الصَّحَابَة./ ينظر / المغني عن حمل الأسفار صـ ١٠٢.

(٢) الحديث عن عمر قال: قال رسول الله: «ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى، ويرده عن ردى، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله» ا. هـ. ضعفه الألباني في ضعيف الجامع صـ ٧٢٤ ./ ينظر / فيض القدير (٥/ ٤٢٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن صـ ٥٧٨ .

القدرة على أداء عمل ما بحذق وبراعة...(ومن ذلك) المهارات اللغويّة: القدرات اللازمة لاستخدام لغة ما، وهي: الفهم، والتحدّث، والقراءة، والكتابة..."[1]، وبهذا يتضح الفرق بين المراد من لفظ(الجارحة)، ولفظ(الحاسة) أو بتعبير آخر بين(الآلة)، و(المهارة المكتسبة) .

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة/ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل/ عالم الكتب/ ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م. (٣/ ٢١٣٣).

## المطلب الخامس: علم اللغة النفسي (تعريفاً وموضوعاً)

يقتضي الحال بداية التعريف بمصطلح (علم اللغة النفسي) الذي يعد كما ذكرت سابقًا فرعا من فروع علم اللغة التطبيقي، فقد ورد في المصادر اللغوية النفسية عدد من التعريفات لهذا العلم تتشابه في جوانب معينة وتختلف في جوانب أخرى بحسب اختلاف نظرتهم لهذا العلم وترتيب موضوعاته، فقد عرف هذا العلم بأنه :" فرع من فروع علم اللغة يدرس العلاقة بين السلوك اللغوي والعمليات النفسية التي تفسر هذا السلوك..." (١).

وعلى هذا يمكن القول :إن أي موقف لغوي أو حدث كلامي يعد سلوكًا، وإذا كان بموجب النظرية السلوكية(٢) " لكل سلوك مثير واستجابة ؛ لذا فإنه لابد من دراسة المثير والاستجابة وما يتخلل ذلك من عوامل شخصية، وعقلية، واجتماعية..." (٣).

أي أنه عند دراسة أي حدث كلامي أو موقف لغوي لابد من دراسته دراسة شاملة الجوانب النفسية والاجتماعية المصاحبة له، فدراسة اللغة لا ينبغي أن تكون دراسة سطحية أو شكلية وإنما يجب أن تكون دراسة متعمقة في كوامن النفس؛ إذ لا يطلق على الكلام لغة إلا إذا أدى وظيفة نفسية قائمة على التحليل والتصور وردود الفعل، وهذا ما يقوم به (علم اللغة النفسي) فهو

---

(١) علم اللغة النفسي د. عبد العزيز إبراهيم العصيلي صـ ٢٦ ، وينظر / تفاعل نشاطي علم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي وتداخلهما مع تعلمية اللغات/ د. مجاهد ميمون كلية الآداب واللغات والفنون جامعة سعيدة الجزائر صـ٢.

(٢) يطلق على نظرية السلوكية عدة مسميات منها (نظرية المثير والاستجابة) ، و(نظرية التعلم) ، ويقوم مبدأ هذه النظرية على أساس المثير والاستجابة ، أي لا استجابة بدون مثير، بل إن السلوك يحدث نتيجة ارتباط بين مثير ما واستجابة معينة والاهتمام الرئيسي للنظرية السلوكية هو السلوك .

(٣) النظرية السلوكية (المنهج ونظريات التعلم) صـ١٢ .

يبحث عن الدوافع المثيرة لهذا الموقف اللغوي، كما يبحث في مدى الاستجابة لهذه الدوافع أو ردود الفعل إزاء هذه الدوافع والمثيرات مع وضع العمليات الذهنية التي تحدث بين الدافع والاستجابة في الاعتبار وما يصاحبها من عمليات " تعزيز أو تدعيم، وتعميم"[(١)].

ولا شك أن الاهتمام بالناحية النفسية في دراسة اللغة قديم جدًا، بل يمكن القول إن " علم اللغة النفسي عند اللغويين العرب القدامى لم يكن مجرد إشارات، بل هم من أسسوا هذا العلم وخاضوا غماره وسبروا أغواره، ولقد أصَّلت كتاباتهم في هذا الميدان وأسَّست لنظرية لغوية نفسية رائدة، وإن لم تكن مشروحة في مصنف واحد تحت هذا الاسم؛ وإنما تطرقوا إليها كل من جهته، وحسب اختصاصه واهتمامه، فالجاحظ، وابن سيده، وابن خلدون، وابن فارس[(٢)] مثلًا تحدثوا عن معظم مسائل هذا العلم وموضوعاته..." [(٣)]

---

(١) يقصد بمصطلح التعزيز التقوية والتدعيم أي أن السلوك المتعلم إذا تم تعزيزه وتدعيمه فإن المتعلم سوف ينزع إلى تكرار نفس السلوك ، أما التعميم فهو انتقال أثر المثير والموقف إلى مثيرات ومواقف أخرى تشبهه ، أي أن الفرد ينزع إلى تعميم استجابته المتعلمة على استجابات أخرى تشبه الاستجابة المتعلمة / ينظر / النظرية السلوكية (المنهج ونظريات التعلم) صـ١٤.

(٢) حيث تحدثوا عن بعض قضايا التي يعنى بها علم اللغة النفسي مثل قضية دلالة الإشارة ، وقضية نشأة اللغة وغير ذلك ، ينظر في تفصيل ذلك البيان والتبيين (١/ ٨٢) ، وينظر مقدمة ابن خلدون تح. علي عبد الواحد وافي، ط٣، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر ج١٠٠٨/٣ : ١٠١٠، وينظر / الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (٣٩٥هـ)/ الناشر: محمد علي بيضون ط١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م / صـ١٣ ، وينظر الخصائص (١/ ٤٨).

(٣) ينظر علم اللغة النفسي في التراث العربي د. جاسم علي جاسم / مجلة الجامعة الإسلامية / عدد ١٥٤/ صـ ٥٠٨

**موضوع علم اللغة النفسي:**

إن من أهم مجالات هذا العلم وموضوعاته يمكن إيجازها فيما يأتي:

. فهم اللغة، سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة.

. اكتساب اللغة؛ سواء أكانت لغة أمًا، أمْ لغة ثانية أو أجنبية." [(١)]، ولعل النقطة الأولى وهي ( فهم اللغة منطوقة أو مكتوبة) هي مناط هذا البحث الذي يعد محاولة لفهم هذا النص[(٢)] القرآني في الآيات محل الدراسة وذلك عن طريق دراسة قائمة على التحليل، والتصور، وردود الفعل النفسي .

وفيما يأتي عرض لبعض أمثلة تقارض ألفاظ الجوارح في القرآن الكريم .

(١) ينظر علم اللغة النفسي في التراث العربي / صـ ٥٠٩ .

(٢) على حد تعبير فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي في قوله ( شاء الله تعالى بيانًا لهذا النص) يقصد النص القرآني .

## المبحث الأول :التقارض بين ألفاظ جارحة العين.
## وبعض الجوارح الأخرى[1]:

**أ. التقارض بين ألفاظ البصر والعقل :**

**. بصَرَ[2] بمعنى علم (الإحاطة بالشيء) :.**

ورد الفعل (بصر) الذي هو حاسة (العين) في القرآن الكريم بمعنى (علم) الذي هو حاسة (العقل) . ذلك أن البصرَ أداة من أدوات العلم، كما أنه وسيلته التي تُمَكِّنُ الإنسانَ من إدراك الأشياء ورؤيتها، وذلك كما في قول الله تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۝٩٦﴾ [طه:٩٥ : ٩٦]، فهذا المشهد من قصة (موسى) -عليه السلام- يحكي سؤال(موسى) -عليه السلام- للسامري عن سبب إضلاله قوم موسى -عليه السلام- فأجابه السامري بقوله(بصُرت بما لم يبصروا به)، وجلُّ المفسرين[3] على أن المعنى(علمت واهتديت إلى علم ما لم يعلموه)، وإنما وقع التقارض بين الفعلين (بصر)، و(علم) فجاء التعبير بالفعل (بصر) بدلًا من (علِم) للدلالة على أن (السامري) كان أشد حرصًا على تعلم "علم صناعة التماثيل والصور الذي به صَنَع العجلَ، وعلم الحيل الذي أوجد به خوار العجل"[4]، وعلى أن معرفته بهذا العلم معرفة راسخة وليست مصادفة حتى

---

(١)كان منهجي في ترتيب دراسة التقارض بين ألفاظ الجوارح قائمًا على كثرة مواضع ورود هذا التقارض في القرآن الكريم .

(٢) ورد الفعل (بصر) متعديًا بحرف الجر (الباء) في ثلاثة مواضع من القران الكريم وهي [الكهف ٢٦ ]، [طه ٩٦]،[القصص ١١ ] ، أما سائر المواضع فقد ورد فيها متعدِّيًا بنفسه.

(٣) ينظر في ذلك / تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٠) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٨٤) ، مفاتيح الغيب (٢٢/ ٩٥)، التفسير القرآني للقرآن (١٠/ ٣١٧)، التحرير والتنوير (١٦/ ٢٩٥) .

(٤) التحرير والتنوير (١٦/ ٢٩٦) .

صار بصيرًا بهذا العلم، ومنه قولهم: "رجل بصير بالأشياء أي عالم بها، وبصرت بالشيء: علمته..."[(١)]، أي أن المعرفة الراسخة تسمى بصيرة كما في قول الله تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، أي : أدعو إلى الله ببصيرة متمكنًا منها...، والبصير: صاحب الحجة؛ لأنه بها صار بصيرًا بالحقيقة..." [(٢)]، فكأن (السامري) بلغ من علمه بهذا العمل أن صار بصيرًا به حاذقًا ماهرًا فيه، وإنما وصل إلى هذه الدرجة من المهارة؛ لأنه كان يدفعه وازعٌ نفسي ؛ حيث أراد" أن يجمع الناس حوله، وأن يكون ذا سلطان فيهم ..." [(٣)]؛ لذا جاء التعبير القرآني بالفعل (بصر) بدلًا عن (علم) للدلالة على شغف نفس (السامري)، وولعها بالسُّلطة والجاه، فانعكس هذا الملمح النفسي على التعبير القرآني، وعلى هذا يمكن القول إن موقف السامري هذا قد اشتمل على مثير، واستجابة، ومعانٍ ذهنية، أما المثير فهو رغبة السامري الملحة في جمع الناس حوله وأن يكون فيهم ذا سلطان وجاه، وأما المعاني الذهنية التي تجول بخاطره فتتمثل في توهمه أنه تفرد في مهارة لم يعرفها سواه وهي صناعة التماثيل، وأما الاستجابة فتتمثل في ما ترجمه في حديثه بأنه بصر بما لم يبصروا به ؛ لذا جاء التعبير القرآني على هذا النحو لتصوير هذه النزعة النفسية التي تملكت منه أن جعلته يتقن فنًا لم يتقنه أحدٌ من قومه ؛ ليكون له بذلك عليهم حق الطاعة والسلطة ؛ لذا تراه "اعترف أمام موسى بصنعه العجل...، واعتذر بأن ذلك سولته له نفسه، والتسويل: تزيين ما ليس بزين...، والمعنى : وكذلك التسويل سولت لي نفسي، أي تسويلًا لا يقبل التعريف بأكثر من ذلك " [(٤)]، أي " لم يدعُني إلى ما فعلته

(١) ينظر في ذلك لسان العرب (٤/ ٦٥) ، تاج العروس (١٠/ ١٩٧) (ب ص ر) .
(٢) التحرير والتنوير (١٣/ ٦٥) .
(٣) التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٨٢٢).
(٤) التحرير والتنوير (١٦/ ٢٩٦ ، ٢٩٧).

أحدٌ غيري بل اتبعت هواي فيه.." [1]، فالسامري تعلَّم هذه الصنعة وصار فيها ذا بصيرة تلبيةً لهذا الوازع النفسي الذي زيَّن له نقض اتباع شريعة موسى ـ عليه السلام ـ وزيَّن له أن يكون ذا منزلة عالية في قومه، وعلى قدر ولعه بالسلطة والجاه كان جزاؤه أن خلعه موسى ـ عليه السلام ـ من الأمة؛ لأن موسى أعلم بأن السامري لا يُرجى صلاحه، فيكون ممن حقت عليه كلمة العذاب، فأخبره أن الله تعالى"حرمه هذا السلطان، بل وأخرجه من أن يعيش مع أحد، أو يتصل بأحد، بهذا الداء الذي رماه به..."[2]، يحكي هذا قول الله تعالى ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه:٩٧].

مما سبق يتضح أن التعبير القرآني آثر الفعل (بصُر) بدلا عن (علم) للدلالة على أن علم (السامري) بصناعة العجل إنما كان علمًا متغلغلا في القلب والعقل معًا، فقد أُشْرِب قلبُه هذه الصناعة حتى أتقنها عقله ؛ لذا جاء التعبير بالفعل (بصر) ليترجم الحالة النفسية له، ويبين كيف أنه " كان له في ذلك مهارة فائقة كالمتخصصين في هذه الصناعة، وقد قيل إنه صنع من قبلُ تمثالين من شمع أحدهما لثور، والآخر لثورة، ولعله صنعهما أمام موسى ـ عليه السلام ـ ليعلم موسى ـ عليه السلام ـ مقدار ما بصُر به من صناعة التماثيل..." [3]، ويلاحظ أن حالة الفخر والاعتزاز بهذه المهارة جاءت محاكيةً قولَ هدهدَ سليمانَ ـــ عليه السلام ـ له حينما توعده بالعذاب أو بالذبح، فحكى القرآن الكريم قول الهدهد ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[النمل:٢٢]، أي : "علمت ما لم تعلم به وجئتك بأمر لم تخبرك به الجن ولم تتصحك فيه ولم يعلم به الإنس، وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وجئتك من أرض سبإ

(١) مفاتيح الغيب (٢٢/ ٩٦).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٨٢٢).
(٣) زهرة التفاسير (٩/ ٤٧٧٨).

باليمن بنبإ يقين..." [١]، والإحاطة بالشيء علما: "أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم." [٢]، وكأن لسان حال (السامريّ) يقول مثل هدهد سليمان ـ عليه السلام ـ (أحطت بما لم يحيطوا به) افتخارًا بنفسه واعتزازًا بعلمه، أي أن هذا الفعل تضمن[٣] معنى الفعل (أحاط) للدلالة على علمه الكامل لهذا العلم من جميع أجزائه فلا يخفى عليه شيء فيه .

ـ كما ورد الفعل (بصر) بمعنى (علم) في قول الله تعالى حكاية عن (أم موسى) ـ عليه السلام ـ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾[القصص:١١]، فهذه الآية تحكي مشهد أم موسى ـ عليه السلام ـ وقد طلبت من أخته أن تتقصى أخبار وليدها بعد أن ألقته في اليم والتقطه آل فرعون ؛ حيث اكتفت الأم بقولها للابنة (قصيه) فهمَّت الفتاة بالاحتياط والتورية، وذلك بالتبصر به عن جنب لعدم إشعار أحد، وإنما جاء التعبير بالفعل (فبصرت به) دون غيره فلم يقل مثلًا(فتقصَّته) مجاراة لفعل الأمر(قُصِّيه) ؛ للدلالة على شدة اعتناء الفتاة بأخبار الوليد وكأنها تستمد بصرها من مراقبته، يقال:" وبصر بالشيء، أي: صار ذا بصر به، أي باصرًا له فهو يفيد قوة الإبصار، أي قوة استعمال حاسة البصر وهو التحديق إلى المبصر، فالفعل (بصر) أشد من (أبصر)، والباء الداخلة على مفعوله باء السببية للدلالة على شدة العناية برؤية المرئي حتى كأنه صار باصرًا بسببه..."[٤]، ولما كانت مهمة الفتاة قائمةً على تحسس أخبار الوليد، وتسمُّع ما يتحدث به المتحدثون من حاشية فرعون من أمر هذا الوليد الذي التقطوه.. ما شأنه؟ وماذا حل به؟ وهل هو

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠١).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٣٥٩) .

(٣) التضمين: إشراب اللفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه؛ لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين ، ينظر/ شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (١/ ٤٤٦).

(٤) التحرير والتنوير (٢٠/ ٨٣).

حيّ أم ميت؟، والتسلل في خفة حول بيت فرعون، والتقاط الأخبار من أفواههم مع الحيطة والحذر؛ حتى لا يفتضح أمرها وأمر الوليد معها .كان التعبير المناسب لكل هذه المهام هو الفعل (بصرت به) الذي يصور وكأن " قلب تلك الأخت كان أمام عينيها، فلم تبحث عن أخيها، بعينيها، ولم تتسمع أخباره بأذنيها، وإنما كانت كيانًا من الحذر والحيطة، بحيث تقرأ الحركات والإشارات، وتتأول الرموز والألغاز، فالبصر هنا، بصر علم، أقرب ما يكون إلى الإلهام.." [(١)]، وهذا الإلهام جاء مراعاة لتلك الحالة النفسية التي كانت تسيطر على تلك الفتاة فهي تمشي مدفوعة بدافع الخوف على أخيها من أن يصيبه مكروه، والخوف من فرعون وملائه أن يفطنوا إليها فينكشف أمرها وأمر أخيها، وعلى هذا يمكن القول :إن موقف أخت موسى هذا قد اشتمل على مثير، واستجابة، ومعانٍ ذهنية، أما المثير فيتمثل في وحي الله إلى (أم موسى) أن تضع رضيعها في صندوق وتلقه في اليم، وأما المعاني الذهنية فتتمثل في توهمها هلاك الرضيع وفقدها إياه، وهو ما عبر عنه القرآن بقوله ( ***وأصبح فؤاد أم موسى فارغا***)، فتطلب من أخته أن تقص أخباره، وأما الاستجابة فتتمثل في مراقبة الأخت أخاها بهذه الكيفية التي عبر عنها القرآن بقوله (فبصرت به)، ولله دره (الزمخشري) حينما وصف حال أخت موسى وهي تراقبه، فيقول: فجعلت تنظر إليه " مُزْوَرَّة[(٢)] متجانبة، مخاتلة[(٣)]، مائلة، وهم لا يشعرون بحالها وغرضها." [(٤)]، فكل هذه الأوصاف التي ساقها تصور مدى

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٠/ ٣١٧) .

(٢) يقال : رجل أَزْوَرُ وَامْرَأَة زَوْرَاءُ وَالجمع زُور، إذا كَانَ فِي صدرها اعوجاج / ينظر/ جمهرة اللغة (٢/ ٧١١) (ر ز و).

(٣) خاتله مخاتلة: خادعه وراوغه. وتخاتلوا: تخادعوا/ ينظر/ تاج العروس (٢٨/ ٣٩٥)(خ ت ل).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٣٩٦) ، مفاتيح الغيب (٢٤/ ٥٨٢).

حرص الفتاة على تتبع وتقصي أخبار أخيها في خفية مع إعمال جميع حواسها في سبيل ذلك

مما سبق يتضح أن التعبير القرآني آثر الفعل (بصر) في هذا الموضع للدلالة على أن أخت موسى ـ عليه السلام ـ أعملت جميع حواسها لتقصي أخبار موسى من تحسس أخبار الوليد، وتسمُّع ما يتحدث به المتحدثون، والتسلل في خفة حول بيت فرعون، والتقاط الأخبار من أفواههم، وهي إنما تفعل كل هذا للإحاطة بأخبار موسى ؛ لأن الدواعي النفسية ـ وهي قوية عندها ـ تدعوها إلى إظهار الجزع والخوف على أخيها وأن تراقبه وتتبعه، وكذلك الدواعي الإيمانية الروحانية ـ التي تمثلت في تطمين الله تعالى لأمها بقوله لها ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾[القصص:٧] . تدعوها إلى الصبر والحيطة والحذر في مراقبته، فكأنها واقعة بين دافعين: دافع إظهار الخوف والجزع على أخيها، ودافع الحيطة والحذر في مراقبته لئلا ينكشف أمرهما ؛ لذا جاء تذييل هذه الآية بقوله تعالى (وهم لا يشعرون) للدلالة على أن الفتاة بلغت في الحيطة والحذر والحذق والمهارة في المراقبة أمرًا جعلهم لا يشعرون، ولا يُدركون أنها تراقبه بأي حاسة من حواسهم، وإنما أتى هذا من خطتها في المراقبة والتي تبينها لفظة (عن جنب)، وذلك من حذق أخته في كيفية مراقبته ؛ لذا جاء الفعل (بصرت به) المتضمن معنى (أحاطت به) للدلالة على كل هذه المهام إضافة إلى الحيطة والحذر، " مما يدلُّ على ذكاء الفتاة وقيامها بمهمتها على أكمل وجه، وإن لم تُكلَّف بذلك..."[1]. فقد كانت تنظر إليه كأنها لا تريده.

فهذان المثالان يتضح من خلالهما أن الفعل (بصر) يأتي بمعنى (علم) إذا كان المراد أن هذا المتصف بالبصر قد بلغ درجة بعيدة في هذا

(١) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٨٩٣).

الأمر حتى إنه صار بصيرًا به، وهذا إنما يتأتى له من اجتماع قوة حاسة البصر مع قوة القلب المدركة حتى يصل إلى هذه الدرجة من البصر تتكشف له بواطن الأمور، وهذا ما فطن إليه (الراغب الأصفهاني) حينما قال :" البصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر....، (ويقال فيها) أبصرته وبصرت به، وقلما يقال بصرت في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب..." [(١)]، أي أن الفعل (بصر) يستعمل حينما تضامّ قوة جارحة البصر مع قوة القلب المدركة .

**ب . بين (البصر، وحاسة اللمس) :.**

عُنِيَ القرآن الكريم بالحديث عن الجنة وما فيها من النعيم الأبدي الذي أُعِد لمن آمن وعمل صالحا، فتحدث عن أنهار الجنة التي تجري في منظر يهيج القلب ويروق للعين، ومن الأحاديث التي برع القرآن الكريم في تصويرها الحديث عن ظل الجنة الظليل، الذي صوره الأسلوب القرآني في قول الله تعالى ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣﴾[الإنسان:١٣]، فهذا التعبير يصور كيف يعيش أهل الجنة في جو لا يشعرون فيه بحرِّ الشمس، ولا بشدة البرد، فهو ظل ظليل لا يعكره وهج الشمس ولا قَرص البرد، وقد جاء التعبير عن عدم الإحساس بحرارة الشمس، وقرص وزمهرير البرد بالفعل (لا يرون)، والمعنى :" وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحرّ والقرّ ودنوّ الظلال عليهم..." [(٢)]، فهذا يفيد أن النعيم ممدود، وهذا النعيم الممدود يحيط بهم من ناحية، ولما كان الظل الظليل " مما تجد النفس عنده الطمأنينة، وتشعر لديه بالهدوء والغبطة يلجأ إليه السائر في

(١) المفردات في غريب القرآن (صـ ١٢٧).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٧١).

حرّ الظهيرة، فيجد راحة نفسه وهدوء قلبه..." [1] جاء عبر القرآن عن هذا بأنهم لا يرون شمسا ولا زمهريرا، وإن كانت حرارة الشمس وقرص البرد أولى بالإحساس من الرؤية، وإنما وقع التقارض بين الفعلين ( يرون)، و(يُحسون) للدلالة على أن جزاء هؤلاء الأبرار عند ربهم جنة ظلها دائم لا ينقطع؛ مصداقًا لقول الله تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۚ ﴾ [الرعد:٣٥]، وإنما يكون الظل دائم إذا لم يتغير عليه كل من حرارة الشمس، وقرص البرد، فيصدق عليه وصف (ظل ظليل)، والحال أن هؤلاء الأبرار " لا يرون في هذه الجنة شمسا، أي حرّا؛ لأن الشمس هي مصدر الحرارة، كما أنهم لا يرون زمهريرًا، أي لا يحسون بردًا، ولو لم تكن هناك شمس؛ بل إن الجنة نور من نور الحق جلّ وعلا، وجوها سجسج [2]، لا حرّ فيه ولا برد.."[3]، ومن ذلك ما جاء في الحديث الشريف: « **الْجَنَّةَ سَجْسَجٌ، لَا قُرَّ فِيهَا وَلَا حَرَّ** [4] »، أي أنه "قصد بنفي الشمس نفيها ونفي لازمها معا لقوله سبحانه وَلا زَمْهَرِيرًا فكأنه قيل لا يرون فيها حرًا ولا قرًا..." [5]، فلما كانت الحرارة الشديدة والبرودة الشديدة هما ما يعاني منهما الإنسان في الحياة الدنيا ويتوقاهما جاءتهم البشرى بأنهم لا يرون في الجنة شمسًا ولا زمهريرًا وذلك مراعاة لأحوالهم النفسية التي عانوها في حياتهم .

---

(١) من بلاغة القرآن صـ ٢٢٧ .

(٢) السين والجيم أصل يدل على اعتدال في الشيء واستواء. فالسجسج: الهواء المعتدل الذي لا حر فيه ولا برد يؤذي. / ينظر / مقاييس اللغة (٣/ ٦٤) (س ج ) .

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٥/ ١٣٦٦).

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٥٣٤)، وينظر / صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ١٤٩)

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ للألوسي (١٢٧٠هـ)/ تح: علي عبد الباري عطية/ دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/ ١٤١٥ هـ.(١٥/ ١٧٥).

يتضح مما سبق أن التعبير القرآني بالتركيب (لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا) وإن كانت حرارة الشمس وقرص البرد أولى بهما الإحساس بدلا عن الرؤية ؛ للتعبير عن طِيبِ نَسِيمِ الجنة، وَاعتِدَالِ هَوَائِهَا، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق عدم وجود شمس فيها ولا زمهرير، وهذا ما عبر القرآن بقوله (لا يرون) ،فنفي الرؤية يستلزم نفي الشيء ولازمه، وإذا كان الإنسان يستدل على وجود الشمس من رؤية ضوئها قبل الإحساس بلهب أشعتها كان التعبير بفعل الرؤية للدلالة على عدم وجود أي أثر للشمس لا ضوء يُرى ولا أشعة تُحس، فكل شيء يُشرق بنور ربه، ولا نور يعلو على نور الرحمن .

**ج ـ بين البصر وجوارح البطش (الأيدي والأرجل) :ـ**

على قدر العداوة والبغضاء التي يضمرها مشركو مكة لشخص النبي ـ ﷺ ـ جاء التعبير القرآني في قوله تعالى ﴿**وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١**﴾[القلم:٥١] بإسناد فعل (الإزلاق) أو البطش والفتك إلى الأبصار، والأبصار لا تفتك، وإنما جاء التعبير بهذه المفردة التي تربط بين الحركة الحسية والحركة النفسية معًا، والتي تدل على " تزلج الشيء عن مقامه "[(١)]، وتبين ما في صدور الكافرين من حقد وعداوة رُسمت في حركة العيون، وتبين قوة هذه النظرات المحدّقة العنيفة التي تؤدي إلى شدة الانزلاق بعنف، وكأن هذه اللفظة ترسم صورة الكفار بكل ما فيها من شدة وعنف في الحقد والبغض، "وتعبّر عن حالات النفوس الحاقدة الحاسدة على شخص رسول الله ـ ﷺ ـ، كما أنها جسّمت هذه النفوس الشريرة في حركة العيون المحدّقة بنظرات شديدة كادت أن تزِلّ بأقدام

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢١) ز ل ق .

الرسول ﷺ من على الأرض، وكأن العين تُحرِّك وتبطش .."[1]، ولا شك أن هذا " مبالغة في عداوتهم حتى كأنها سرت من القلب والجوارح إلى النظر"[2] فهم لن يكفيهم أن يحقدوا عليك ويبغضونك؛ بل إن الأمر تعدَّى ذلك إلى تمنيهم زوالك من أمامهم إهلاكًا، وذلك بأن "يَرْمُوا بك ويُزِيلوكَ عَن موضعك بأَبصارهم كَمَا تقولُ: كَاد يَصْرَعُني شدَّةُ نظره "[3]، كما أن هناك لطيفة صوتية في أصوات هذه المادة وهي:(الزاي، واللام، والقاف) تعد كلها من أصوات اللسان فمخرجها موحد[4]، ولا يوجد انتقال مخرجي؛ مما يوحي برغبتهم الأكيدة في إهلاكه إهلاكًا سريعًا من فورهم، أي وقت نظرهم إليه بعداوة، وليس بعد انتقالهم إلى حالة أخرى؛ ولهذا "جاء قوله (لَيُزْلِقُونَكَ) بلام التأكيد للإشعار بتصميمهم على هذه الكراهية، وحرصهم عليها "[5]، فهم " ينظرون إليك بالعداوة نظرًا شديدًا، يكاد يزلقك من شدّته أي: يسقطك" [6] في سرعة آنية.

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن/ عبد السلام أحمد الراغب/ دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب/ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م/.صـ١٤٨ .

(٢) روح المعاني ( ١٥/ ٤٢) .

(٣) تهذيب اللغة (٨/ ٣٢٧) ز ل ق .

(٤) فالزاي مخرجها من تضييق بين مقدم اللسان واللثة العليا ، واللام مخرجها من غلق بين مقدم اللسان وأصول الثنايا العليا مع إفساح جانبي اللسان للهواء ، والقاف مخرجها من غلق اللهاة ما يقابلها من مؤخر اللسان (فالجميع اللسان عضو رئيس في إنتاجه) / ينظر علم الصوتيات د. علام / صـ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ .

(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي ( ١٥/ ٦٢ ) .

(٦) تأويل مشكل القرآن / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ( ٢٧٦هـ) / تح: إبراهيم شمس الدين / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . صـ ١٠٨.

**د ـ بين البصر والذوق :.**

كما استعمل التعبير القرآني أسلوب التقارض بين حاستي الذوق، والبصر في قول الله تعالى﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّخرُف:٧١]، وإنما اللذة تقال لما يستلذه الإنسان من الطعوم، وفي ذلك يقول ابن فارس : " اللام والذال أصل صحيح واحد يدل على طيب طعم في الشيء، من ذلك اللذة واللذاذة: طيب طعم الشيء..." [(١)]، " واللذة واللذاذة واللذيد واللذوَى كله الأكل والشرب بنعمة وكفاية..." [(٢)]، وقد استعمل التعبير القرآني هذه اللفظة بهذا المعنى في قول الله تعالى ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾[الصافات:٤٦]، وقوله تعالى ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾[محمد:١٥]، فاللذة في هاتين الآيتين تنصرف إلى لذة طعم الشراب وطيب مذاقه، لكن الآية الأولى استعملت اللذاذة مع حاسة (العين)، وكأن العين تستلذ بما تراه استلذاذ اللسان بالشهي من المطعوم، وإنما جاء هذا التقارض الحواسي لتصوير استمتاع هؤلاء المتقين بكل ما يحيط بهم، بكل حواسهم ؛ حتى إن العين يصل تمتعها بما ترى مقدار تمتع اللسان بما يذوق، وفي هذا دليل على حصول كل الخيرات والسعادات التي " تُساق إلى أهل الجنة، الذين كانوا يشتهون هذه الأمور في الدنيا، ثم تقصر أيديهم عنها، أو كانوا يحرمون أنفسهم منها، ابتغاء مرضاة الله، فكان من تمام إكرامهم، أن يجدوا بين أيديهم كل ما كان من نعيم الدنيا، الذي فاتهم حظهم منه عجزا، أو استعلاء..." [(٣)]، كما أن التعبير بالفعل (تلذ) مع حاسة العين في مقام دخول هؤلاء المتقين هذه الجنة التي أورثوا إياها من خالقهم للدلالة السماح لهم

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٢٠٤) ( ل ذ) .
(٢) تهذيب اللغة (١٤/ ٢٩٤) ( ل ذ) .
(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ١٦٢).

بالتمتع الكامل بميراثهم ؛ حيث إن" الوارث لا يبخل على نفسه بالتمتع بكل ما ورث؛ حيث لا يشتد حرصه عليه...، وفي هذا دعوة إلى أهل الجنة أن ينالوا من هذا النعيم الموروث ما يشاءون، غير مضيقين على أنفسهم في شيء.."[(١)]، وقد التفت الشيخ (ابن عاشور) التفاتة قيمة حين قال في تفسير قوله (وتلذ الأعين) :" فلذة الأعين وسيلة للذة النفوس، فقد تشتهي الأنفس ما لا تراه الأعين كالمحادثة مع الأصحاب وسماع الأصوات الحسنة والموسيقى، وقد تبصر الأعين ما لم تسبق للنفس شهوة رؤيته أو ما اشتهت النفس طعمه أو سمعه فيؤتى به في صور جميلة إكمالا للنعمة.... "[(٢)] ،أي أن هذا التعبير يشمل كل ما تتعلق الشهوات النفسية بنواله وتحصيله، ولا عجب في ذلك، فالله يخلق في أهل الجنة الشهوات اللائقة بعالم الخلود والسمو، فيجعل العين تتمتع بما تتمتع به بقية الحواس وزيادة بأن يجعلها مبعث اللذة في النفس يحكي هذا ما رواه صُهَيْب ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ** »[(٣)] .

يتضح مما سبق أن التعبير القرآني آثر التقارض بين حاستي (البصر والذوق) في هذه الآية للدلالة على مدى النعيم غير المحدود الذي أعده الله تعالى لعباده المتقين، وكأن هذه الآية نُسجت على هذا المنوال لتأهيب وتهيئة نفوس هؤلاء المتقين لمحاولة توقع هذا النعيم الذي تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين، ولكن هيهات لنفس أن تحيط بهذا النعيم إنه نعيم الخالق المالك ـ ﷻ ـ

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ١٦٢) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان / بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى(١/ ١٦٣) رقم (١٨١).

القائل «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**»(١) .

**هـ . بين البصر والسمع (العلم) :.**

تعد حاسة البصر أكثر الحواس ورودًا في التنزيل العزيز سواء على حقيقتها وهو الرؤية البصرية بالعين، كقوله تعالى ﴿*أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾*﴾[الحج:٦٣]، وكذلك قوله تعالى ﴿*فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا*﴾[الأنعام:٧٦]، وقوله تعالى ﴿*فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ*﴾ [يوسف:٣١]، وغير ذلك من آيات الاستدلال على قدرة الله تعالى، كما أن التعبير القرآني استعمل هذا الفعل فيما يُدرك بحاسة أخرى، فهناك رأى التي بمعنى (علم)، والتعبير القرآني أكثرَ من استعمال التقارض بين الفعل(رأى) والفعل (علم) فيما أطلق عليه النحاة (رأى العلمية (٢)) التي هي لاعتقاد القلب في آيات الحديث عن أخبار الأمم السابقة، وأمثلة ذلك لا تُحصى في كتاب الله، "فجميع (أرأيت، أفرأيت، أرأيتم، أفرأيتم، أرأيتك، أرأيتكم، أرأيتَك ) كلها من رأى العلمية بمعنى (أخبرني)، كأنما المقصود تأمل وكون رأيك في الأمر المعروض وأخبرني ما رأيك ؟ أو ما الرأي والعمل ..." (٣)، وفي ذلك يقول (ابن قتيبة):"الرؤية: المعاينة، كقول الله ﷻ ﴿*وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ*﴾ [الزُّمَر:٦٠]، وقال

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق / بَابُ صِفَةِ أَبْوَابِ الجَنَّةِ (٤/ ١١٨)رقم (٣٢٤٤).

(٢) أو القلبية ، وهي التي تتعدي لمفعولين ،وسميت بذلك " بجامع إدراك الحس الباطن..." ينظر/ شرح التصريح على التوضيح (١/ ٣٦٥).

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن صـ ٧٣٦.

تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾[الإنسان:٢٠] أي: عاينت، والرؤية: عِلْمٌ، كقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠]، أي: ألم يعلموا...، وقال المفسرون في قوله تعالى﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٢٣]: ألم تُخبَروا، وكذلك أكثر ما في القرآن..... "[(١)]، أي أن (رأى) إما أن تكون بصرية معاينة بالعين، أو علمية مُدرَكة بالقلب بمعنى(علم)، وقد تكون إخبارية مُدركة بالسمع بمعنى (سمع) فمعرفة الأخبار تتم عن طريق السماع، وعلى هذا يكون الفعل (رأى) فيما يُدرك بحاسة السمع فتكون (رأى) بمعنى (سمع) أي أن هذه الرؤية تُدرك بحاسة السمع، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾[الفيل:١]، ويمكن أن نقول : إن تركيب (ألم تر) إذا ورد في أخبار الأمم السابقة فإنه يكون بمعنى (ألم تسمع) أو (ألم تُخبَر)، وفي ذلك يقول (ابن عاشور) :" واعلم أن تركيب (ألم تر إلى كذا) إذا جاء فعل الرؤية فيه متعديًا إلى ما ليس من شأن السامع أن يكون رآه، كان كلاما مقصودا منه التحريض على علم ما عدي إليه فعل الرؤية، وهذا مما اتفق عليه المفسرون ولذلك تكون همزة الاستفهام مستعملة في غير معنى الاستفهام بل في معنى مجازي أو كنائي، من معاني الاستفهام غير الحقيقي، وكان الخطاب به غالبا موجها إلى غير معين، وربما كان المخاطب مفروضا متخيلا...."[(٢)]، وعلى هذا يكون استعمال الفعل (رأى) مع ما يُدرك بحاسة السمع أقوى في التصوير من قوله (ألم تُخبَر)أو(ألم تسمع)، ولا يقتصر ذلك على قوة التصوير أو تقريب الصورة فحسب ؛ بل إن هناك

(١) تأويل مشكل القرآن / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) / تح: إبراهيم شمس الدين / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان / صـ ٢٧١.

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٤٧٦).

غرضًا آخر للتقارض بين الفعلين (رأى)، و(سمِع)، وذلك كما في قوله تعالى﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة:١١]

أورد البخاري في أسباب نزول هذه الآية ما رواه جابر ﷺ، قال: «**بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت من الشأم عير تحمل طعاما، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا فنزلت**»[1] ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا**﴾ [الجمعة: ١١]' وكذلك في كتب أسباب النزول، أما كتب التفسير فقد فصَّل المفسرون القول في أسباب نزول هذه الآية على عدة أقوال أورد الزمخشري جميعها مسندة إلى أصحابها منها ما أورد أن النبي ﷺ «**كان يصلى يوم الجمعة قبل الخطبة، حتى إذا كان ذات يوم وهو يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل، فقال: إن دحية قد قدم، وكان إذا قدم تلقوه بالدفاف فخرج الناس، لم يظنوا إلا أنه ليس في ترك الخطبة شيء...**" [2]، وكذلك ما أورده (أبو السعود) في قوله :" وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو..." [3] فهذه الرواية وسابقتها تدلان على حدوث جلبة، ولهو، وصوت مسموع مع قدوم التجارة، ولا شك أن أول إدراك اللهو إنما يكون بالصوت . في الغالب . لا بالرؤية، وإنما آثر التعبير القرآني الدلالة على سماع جلبة قدوم التجارة أو سماع جلبة اللهو بالفعل(رأى)؛ وذلك لأن استخدام الفعل (سمع) دون الفعل (رأى) سيفضي إلى تقديم صورة منفرة جدًا ؛ حيث "يؤدي الفعل (سمع) وصف حالة الفرار من العبادة لأدنى عارض ولأقل

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف/ باب قول الله تعالى: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها} (٣/ ٥٥) (٢٠٥٨).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥٣٦).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ٢٥٠).

سبب وهو مجرد سماع الصوت ،لاسيما وأن الآية لم تنزل في المنافقين وحدهم، حيث تذكر الروايات أنه لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا، أي أن من هؤلاء الذين انفضوا فريق من المؤمنين الذين رسخ إيمانهم، وصح اعتقادهم، ولكنها طبيعة النفس البشرية التي لم تصبر فور تيقنها من مجيء التجارة، والحال في المدينة القحط والغلاء [(١)]، فلذلك عدل التعبير القرآني عن الفعل (سمع) إلى الفعل (رأى) لبيان أن نفوس المؤمنين البشرية قد تنازعها أمران : الأول وازع المكث مع النبي ﷺ لأداء الصلاة، والثاني وازع الذهاب لإدراك حظهم من العير لما يلابسون في الدبنة من قحط وغلاء، فلما تأكدوا من مجيئها يقينًا. وهذا ما يؤديه الفعل رأى . ولم يتركوا العبادة لأدنى عارض . بما يوجي به الفعل سمع . غلبتهم نفوسهم البشرية فخرجوا لإدراك حظهم من العير، فعلى هذا يكون التعبير بالفعل (رأى) فيه دلالة أنهم وقعوا في خطأ ما كان ينبغي لمثل مَن هو على حالهم أن يقع فيه"[(٢)]، وقد ساعد هذا التقارض بين الفعلين في تبادر هذا المعنى للذهن، كما أن فيه ترفق بالمؤمنين ؛ ولهذا ذُيلت هذه الآية بقوله تعالى ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾[الجمعة:١١]، وعلى الجانب الآخر يكون في التقارض بين الفعلين (رأى)، و(سمع) مدحٌ للفئة التي ثبتت مع النبي ﷺ ولم تنفض، فمع تيقنهم من وصول العير- وهذا ما عبر عنه الفعل رأى - إلا أنهم لم ينصرفوا

(١) وهذا ما أورده الطبري في قوله :" إن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر، فقدمت عير والنبيّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، فسمعوا بها، فخرجوا والنبيّ ﷺ قائم./ ينظر / جامع البيان ت شاكر (٢٣/ ٣٨٧).

(٢) ينظر هذا التحلبل في/ البنية الحسية في التعبير القرآني . دراسة بلاغية د. إبراهيم سعيد السيد / دار النابغة للنشر والتوزيع /ط١/١٤٣٥هـ . ٢٠١٤م صـ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

لإدراك حظهم من العير؛ ولهذا قال النبي ﷺ فيهم "لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة، ونزلت الآية: وكان من الذين معه أبو بكر وعمر" (١).

يتضح مما سبق أن التقارض بين الفعلين (رأوا)، و(سمعوا) في هذه الآية إنما جاء مراعاة للحالة النفسية التي كان عليها هؤلاء الذين انفضوا إلى هذه التجارة وتركوا الصلاة ؛ لئلا يتسبب الفعل (سمعوا) في تصوير حالة فرار هؤلاء المؤمنين من العبادة لأدنى عارض ولأقل سبب وهو مجرد السماع، فهم لم ينفضوا إلا بعد التيقن بالرؤية، كما أن هذا التقارض نتج عنه في الجانب المقابل مدح هذه الفئة التي بقيت مع النبي ﷺ، ولم تنصرف للقافلة مع تيقنها من وصول القافلة، إلا أنها آثرت البقاء مع النبي ﷺ؛ لذا استحقوا هذا المدح ولو كان غير صريح

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣٠/ ٥٤٤).

## ـ المبحث الثاني : التقارض بين ألفاظ جارحة (القلب) واستئثارها بألفاظ بعض الجوارح الأخرى.

**ـ مدخل :ـ**

لما كان القلب من أهم الجوارح بل إنه يعدـ كما قال(ابن القيم) . "ملكٌ والأعضاء جنودٌ له وخدمٌ، فإذا صلح القلب صلحت جنوده، وإذا فسد فسدت"[(١)] مصداقًا لقول النبي ﷺ:«... **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ،وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**[(٢)]» فما أحق بهذه المضغة أن تستحوذ على ألفاظ الحواس الأخرى، فالقلب من حيث مكانه فى الجسد، ووظيفته العضوية فيه- يعدّ مركز الحياة في الكائن الحي، تتأثر به كل خلية من خلايا الجسد، كما أنه يتأثر بكل خلية في الجسد، ومن هنا صحّ أن يضاف إليه كلّ ما للجوارح من آثار، وما لكل عضو من قوى حسّية أو معنوية، فالعين وما فيها من قوى الإبصار، هي من جنود القلب، وكذلك الشأن في الأذن، واليد، واللسان، وكذلك الحال في المخ الذي قيل إنه هو موطن الشعور والإدراك، إن الإنسان هو في الواقع هذا القلب، وينبغي الإشارة أولًا إلى أن هناك لفظةً أخرى تتفق مع لفظة (القلب) في الدلالة، وهي لفظة (الفؤاد)، وأن كثيرًا من أهل اللغة لم يفرقوا بين (القلب، والفؤاد) " بل عرَّفوا كلا منهما بالآخر، وقيل: الأفئدة توصف بالرقة، والقلوب باللين؛ لأن الفؤاد: غشاء القلب، إذ رق نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله، وإذا صادف القلب شيئًا علق به إذا كان لينا "[(٣)]، وقد فرَّق(الراغب الأصفهاني) بينهما باعتبار الاشتقاق فقال :" الفؤاد كالقلب لكن يقال له: فؤاد

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٥٢).

(٢) أخرجه البخاري ـ باب فضل من استبرأ لدينه رقم ٥٢ / (١/ ٢٠)، وصحيح مسلم باب أخذ الحلال وترك الشبهات / (١٥٩٩)/ (٣/ ١٢١٩).

(٣) معجم الفروق اللغوية صـ ٤٣٣ .

إذا اعتبر فيه معنى التفؤد، أي: التوقد، يقال: فأدتُ اللحم: شويته، ولحم فئيد: مشوي...[1] وهذا ما فطنتْ إليه (بنت الشاطىء) حينما قالت :" أن القلب قد يطلق في العربية على العضو العضلي المعروف من أعضاء الجسم، أما الفؤاد فلا يطلق إلا على المعنوي من وضع الشعور والعواطف ..."[2]، وكأن التوقد والحرارة مرتبطان بالشعور والانفعالات والعواطف، أما القلب فالغالب في استعمالاته القرآنية على العضو العضلي المعروف، وهذا ما يفسر أن الأفئدة توصف بالرقة وهي معنوية تتفق مع العواطف والانفعالات والمشاعر، والقلوب توصف باللين وهو حسي يتفق مع العضو العضلي المعروف، الذي تعددت أوصافه في القرآن الكريم بين قلوب مختوم عليها ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة:٧]، وقلوب مريضة ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:١٠]، وقلوب قاسية ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [البقرة:٧٤]، وقلوب غلف ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة:٨٨]، وقلوب مشربة بحب الشيء ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ﴾ [البقرة:٩٣]، وقلوب فيها زيغ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [ آل عمران:٧ ]، وقلوب مطمئنة ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ﴾ [ آل عمران:١٢٦ ]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾الرعد:٢٨]، وقلوب مُلقًى فيها الرعب ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [ آل عمران:١٥١ ]، وقلوب مُمَحَصَّة ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وقلوب فيها حسرة ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ﴾ [آل عمران:١٥٦]، وقلوب عليها أكنة لا تفقه ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[الأنعام:٢٥]، وقلوب مطبوع عليها لا تسمع ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:١٠٠]،وقلوب لا تفقه ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[الأعراف:١٧٩]،

(١) المفردات في غريب القرآن صـ ٦٤٦ .

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم (٢/ ١٧٧).

وقلوب وجِلة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[ الأنفال : ٢]، وقلوب مربوط عليها ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾[الأنفال:١١]، وقلوب مغتاظة ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة:١٥]،وقلوب مرتابة ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة:٤٥]، وقلوب مؤلَّفة ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[التوبة:٦٠]، وقلوب مطبوع عليها لا تفقه ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾[التوبة:٨٧]، وقلوب مطبوع عليها لا تعلم ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾[التوبة:٩٣]، وقلوب مشدود عليها﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾[يونس:٨٨]، وقلوب منكِرة ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾[النحل:٢٢]، وقلوب لاهية ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء:٣]، وقلوب تقية ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج:٣٢]، وقلوب تعقل ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦]، وقلوب بها عمًى ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[الحج:٤٦]، وقلوب مخبِتة ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:٥٤]، وقلوب في غمرة ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾[المؤمنون:٦٣]، وقلوب متقلبة﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾[النور:٣٧]، وقلوب متعمّدة ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]، وقلوب لينة ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمر:٢٣]، وقلوب مشمئزة ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ [الزُّمر:٤٥]، وقلوب متعلقة بالحلوق مكظومة يروم أصحابها ردّها إلى مواضعها من صدورهم فلا ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾[غافر:١٨]، وقلوب عليها أقفال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[محمد:٢٤]، وقلوب فيها سكينة ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[الفتح:٤]، وقلوب فيها حمية ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[الفتح:٢٦]، وقلوب خاشعة

﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد:١٦]، وقلوب شتى﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤]، وقلوب صاغية ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[التحريم:٤]، وقلوب واجفة ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨﴾[النازعات:٨]، وقلوب عليها الرين ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾[المطفّفين:١٤] .

**أ . بين القلب والأذن :.**

كل هذه الأوصاف تبين بجلاء أهمية هذه الجارحة (القلب) التي استحوذت على الكثير من الصفات، منها ما هو من أوصاف القلب أصالة، أومن أوصافه بالتقارض مع أفعال الحواس، وذلك كقوله تعالى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[التحريم:٤]، فهذه الآية دعوة إلى (السيدة عائشة والسيدة حفصة[1]) رضي الله عنهما من الله سبحانه وتعالى، أن يتوبا إليه جل شأنه، "مما كان منهما فى حق النبي ﷺ، وفيما وقع في نفسه الشريفة من أذى من فعلهما، وإن كانتا لم تقصدا النبي ﷺ بأذى، وإنما كان ذلك عن تنافس فى حبه ﷺ، وحرص على أن تنال كل واحدة من نسائه أكبر قدر من القرب منه، والاستظلال بظل جلال النبوة وعظمتها.." [2]، ويلاحظ في هذه الآية أنه قد جاء الفعل (صغت) مسندًا إلى قلوبكما، والصغو لغة "الميل، من ذلك قولهم: صغْوُ فلانٍ معك، أي ميله، وصغت النجوم: مالت للغيوب، وأصغى إليه، إذا

(١) أخرج البخاري في صحيحه عن ابْن عَبَّاسٍ قوله: كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ المَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَكَثْتُ سَنَةً، فَلَمْ أَجِدْ لَهُ مَوْضِعًا حَتَّى خَرَجْتُ مَعَهُ حَاجًّا، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرَانَ ذَهَبَ عُمَرُ لِحَاجَتِهِ، فَقَالَ: أَدْرِكْنِي بِالوَضُوءِ فَأَدْرَكْتُهُ بِالإِدَاوَةِ، فَجَعَلْتُ أَسْكُبُ عَلَيْهِ المَاءَ، وَرَأَيْتُ مَوْضِعًا فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مَنِ المَرْأَتَانِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا أَتْمَمْتُ كَلاَمِي حَتَّى قَالَ: «عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ»./ ينظر صحيح البخاري/باب(إن تتوبا إلى الله ) / رقم (٤٩١٥) (٦/ ١٥٨).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ١٠٢٧).

مال بسمعه نحوه." [١]، وكل شيء مال إلى شيء أو معه كذلك وصَغى صَغىً وأصغىَ كذلك." [٢] "وأَصْغَى إِلَيْهِ رأْسَه وسَمْعه: أَماله، وأَصْغَيْتُ إِلَى فلانٍ إِذَا مِلْت بسَمْعك نحوَه ..." [٣].

فإذا كان المعنى اللغوي المحوري لهذه اللفظة يدور حول (الميل)، كان التعبير بالفعل(صَغَتْ)في هذه الآية يتناسب مع حال مَن نزلت فيهما هذه الآية وهما (السيدة عائشة والسيدة حفصة) ***رضي الله عنهما*** فقد سرَّهما أن يجتنب رسول الله ﷺ جاريته[٤] (مارية)، وكأن هذا الأمر قد صادف هوى في قلبيهما فمال إليه قلباهما، ولما كان الصغو في اللغة معناه: الميل، قيل في "المستمع إذا مال بحاسته إلى ناحية الصوت أنه يُصغي"[٥]، وإذا كان المعنى الحسي للإصغاء ينصرف إلى التسمع بحاسة الأذن، وذلك بالميل بحاسة الأذن ناحية الصوت، فإن التعبير بالفعل (صغت) في هذه الآية انتقل من المعنى الحسي وهو التسمع بالأذن إلى المعنى المعنوي وهو الإدراك بالقلب، والميل بتعمُّد عن الاعتدال ؛ ولهذا جاء التقارض بين فعل حاسة الأذن إلى جارحة القلب للدلالة على تلك الرغبة التي تملكت من المخاطبتين، فكلتا المخاطبتين لديها وازع نفسي، ورغبة مُلِحَّة في تحريم النبي ﷺ (مارية) على نفسه ؛ لذا فقد أفشت (حفصة) سر النبي ﷺ إلى (عائشة) وهي ما أذاعت به إليها إلا لعلمها

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٨٩) (ص غ و).

(٢) كتاب الأفعال (٢/ ٢٥٦).

(٣) لسان العرب (١٤/ ٤٦١) (ص غ و)..

(٤) أورد الحاكم في مستدركه ما روي عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَا فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى جَعَلَهَا عَلَى نَفْسِهِ حَرَامًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ = أَزْوَاجِكَ} [التحريم: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» / ينظر / المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٥٣٥).

(٥) مفاتيح الغيب للرازي (١٣/ ١٢٢).

بأنها ترغب في تطلع مثل ذلك، ولله دره(الشعراوي)حينما قال: "صحيح أن الآذان هي التي تصغي، لكن القلوب قد تتسمع ما يقال، وكأن النفس مستعدة لهذه العملية...؛ولذلك ينقل الحق سبحانه الإصغاء من الأذن إلى الفؤاد وهذا إدراك." [1].

ولذا كان التعبير بالفعل (صغى) في هذا الموضع مناسبًا تمام التناسب مع المعنى وهو الميل المُتعمَّد المصحوب بالاستعداد والرغبة في فعل أمر ما مع توجيه اللوم لهما، والعتاب، وكأن فيه إيماء إلى أن فيما فعلتاه انحرافًا عن أدب المعاشرة الذي أمر الله به وأن عليهما أن تتوبا مما صنعتاه ليقع بذلك صلاح ما فسد من قلوبهما.

**ب . بين القلب والدماغ(القوة العاقلة) :.**

كما اقترضت جارحة (القلب) ألفاظًا أخرى، وذلك كما في قوله تعالى﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[الحج:٤٦]، فقد وقع التقارض في هذه الآية بين القلب والعقل مرة، وبين القلب والعين أخرى، وليكن البدء بالتقارض بين القلب والعقل في قوله تعالى﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾[الحج:٤٦]، فإنه لما كانت القلوب مراكز العقول . مصداقًا لقول علي بن أبي طالب ﷺ وهو بصفين : **إنَّ العَقلَ فِي القَلبِ...**" [2] . جُعل القلبُ مكان الخاطر والتدبر كقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق:٣٧]، فسياق هذه الآية يدور حول مقام الاتعاظ والاعتبار مما حل بالأمم السابقة، " وذِكْر ما يتكامل به ذلك الاعتبار؛ لأن الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار، وكذلك

(١) تفسير الشعراوي (٧/ ٣٨٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بالتعليقات صـ ٢٨١ ، وحسنه الألباني..

استماع الأخبار فيه مدخل، ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبر القلب؛ لأن من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع ألبتة ولو تفكر فيما سمع لانتفع" [١]. ففي هذه الآية " إشارة إلى أن السير في الأرض، لا يفيد منه صاحبه شيئا إلا إذا كان معه قلب متفتّح، يتلقّى المؤثّرات الخارجية، ويتأثّر بها، ويتفاعل معها..." [٢]؛ لذا قدَّمه في هذه الآية على السمع والبصر، ولله دره (الرازي) حين قال : إن " موضع الجهل والغفلة هو القلب فوجب أن يكون موضع العقل والفهم أيضا هو القلب" [٣] ؛ وذلك لأن "القلب هو مفيض الدم– وهو مادة الحياة– على الأعضاء الرئيسة وأهمها الدماغ الذي هو عضو العقل؛ ولذلك قال: يعقلون بها وإنما آلة العقل هي الدماغ ولكن الكلام... أجري على الحقيقة العلمية فقال: يعقلون بها فأشار إلى أن القلوب هي العقل."[٤]، وإنما نُظر إليها على أنها مركز الإدراك والإلهام في هذا المقام؛ لأن الإيمان عقيدة، والعقيدة أساسها الاستقرار والانعقاد في القلب الذي هو منبع الحبّ والامتثال والولاء، ومصدر العقيدة إلى جميع الأعضاء والحواس التي تقوم بعملها بمقتضى أوامر هذا الملك، ولا ينبغي عليها مخالفة أوامره أو الانفلات عن سيطرته، وقد التفت (الشعراوي) التفاتة بديعة حين قال : والتعبير بقوله (تعقلون بها) " يدل على أن للعقل مهام أخرى غير أنه يختار ويفاضل بين البدائل، فالعقل من مهامه أنْ يعقل صاحبه عن الخطأ، ويعقله أنْ يشرد في المتاهات، والبعض يظن أن معنى عقل يعني حرية الفكر وأنْ يشطح المرء بعقله في الأفكار كيف يشاء، لا، العقل من عِقَال الناقة الذي يمنعها،

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٢٣/ ٢٣٤).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٠٥٣).
(٣) مفاتيح الغيب للرازي (٢٤/ ٥٣١).
(٤) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٨٨).

ويحجزها أنْ تشرُدَ منك." [1]، وكأن التعبير القرآني آثر هذه اللفظة دون غيرها لأن مادة (ع ق ل) تدور حول: "حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة، من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل" [2]، فلما كان العقل يحبس عن ذميم القول والفعل، وكان القلب مركز الإدراك والإلهام لزم تحجيم هذا الإدراك والإلهام بالعقل فلو كان القلب سليما معافى من العلل لسلم العقل، ولكان إدراكه للأمور سليما، وتقديره لها صحيحًا..

يتضح مما سبق أن التقارض وقع بين قوى القلب وقوى العقل في هذا المقام الإيماني العقدي ؛ لتناسُب معنى مادة ( ع ق ل) وما تفيده من الحبس والتقييد مع تقييد النفس بالإيمان المنعقد في القلب، وعدم التفريط في شيء منه، كما أن للعقل مكانه البارز في إدراك الحقائق الدينية، وتصوّرها، وأنه بغير هذا الإدراك وذلك التصور لا تقع هذه الحقائق من القلب موقع الحبّ والتقدير؛ لذا تناسب التقارض بين حاستي القلب والعقل ..

***ج - بين القلب والعين :-***

إتمامًا للصورة السابقة استكمل التعبير القرآني أسلوب التقارض بين ألفاظ الحواس في نفس الآية، فبعد أن أنكر عليهم أن تكون لهم قلوب يعقلون بها ما حل بالأمم المكذبة السابقة، أكَّد على أن العمى لم يُصِب أعينَهم فقط ؛ بل أصاب قلوبهم أيضًا، فقد عميت قلوبهم عن رؤية ذلك مع أنهم يمرون عليها مصبحين وبالليل ومع ذلك لا يعقلون بقلوبهم ولا يبصرون بها، فهم قوم عمون عن الحق، وإذا كان أصل العمى" يَدُلُّ عَلَى سَتْرٍ وَتَغْطِيَةٍ، مِنْ ذَلِكَ العَمَى: ذَهَابُ البَصَرِ مِنَ العَيْنَيْنِ كِلْتَيْهِمَا ...، وَلَا يَقَعُ هَذَا النَّعْتُ عَلَى العَيْنِ الْوَاحِدَةِ....، وَرَجُلٌ عَمٍ، إِذَا كَانَ أَعْمَى القَلبِ؛ وَقَوْمٌ عَمُونَ، وَمِنَ البَابِ الْعُمِّيَّةُ:

(١) تفسير الشعراوي ( ١٦/ ٩٨٦٢).
(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٦٩) (ع ق ل).

الضَّلَالَةُ، وَكَذَلِكَ الْعِمِّيَّةُ: الضلالة والكبر، وقيل: فلان في عمياء؛ إذا لم يدرُ وجه الحق، والعَمَايَة: الغَواية، وهي اللجاجة، والعِمِّيت: الرجل الأعمى الجاهل بالأمور..." [(١)]، فإن اقتراض هذه اللفظة (العمى) للقلب يتناسب مع معاني الضلالة والغواية والجهل بالأمور، ولما كان عمى البصائر أشد ضررًا من عمى الأبصار نفى العمى عن الأبصار وأثبته للقلوب" لعدم ضرره مع إنارة البصائر، وخص العمى بالبصائر(وهي القلوب) لوجود الضرر بها ولو وجدت الأبصار؛ ولذا أكد المعنى بقوله (التي في الصدور) ...، إعلامًا بأن القلوب ما ذكرت غلطاً، بل عمدًا، وتنبيهًا على أن عمى البصر عدمٌ بالنسبة لعماها"[(٢)] ؛ ولذا لم يذكر القرآن الكريم في هذه الآية الأبصار فلم يقل (أم لهم أعين يبصرون بها)،" ولم يستدعها كما استدعى قلوبهم وآذانهم، ولكن أشار إليها ضمنًا، فكأنه قال: أما أبصارهم فلا وزن لها إذا لم تكن هناك القلوب التي تتلقى عنها، وتعي ما يجيء إليها منها، فأبصارهم معهم، وهي سليمة لا عيب فيها، ولكنهم مع هذا هم عمي؛ لأن العمى ليس عمى الأبصار، ولكنه عمى القلوب التي في الصدور." [(٣)]، وعلى هذا يكون الحاصل من نظم هذه الآية أنهم بمنزلة الأنعام عندهم آلات الاستدلال (السمع، والبصر، والأفئدة) ومع ذلك انعدمت منهم آثارها فلهم قلوب لا يعقلون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها فهم﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾[البقرة:١٧١]، وقد جاء التعبير القرآني بأسلوب التوكيد مع النفي والاستدراك(فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب) ؛" لغرابة الحكم لا لأنه مما يشك فيه ...، وللمبالغة بجعل فقْدِ حاسة البصر المسمى بالعمى كأنه غير عمى، وجعل عدم الاهتداء إلى دلالة المبصرات مع سلامة حاسة البصر

(١) ينظر ذلك في مقاييس اللغة (٤/ ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٦٤).
(٣) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٠٥٣).

هو العمى مبالغة في استحقاقه لهذا الاسم الذي استعير إليه..."[1] كما أن هذا التعبير بمثابة تعريض بهؤلاء القوم بأنهم لم ينتفعوا بأفئدتهم مع شدة اتصالها بهم إذ هي قارة في صدورهم، فإن كونها في صدورهم يقتضي أن تكون أشد التصاقًا بهم.

يتضح مما سبق أن التعبير القرآني في هذه الآية جاء على نسق التقارض بين حاستي (العقل والقلب) مرة، و(القلب والعين) مرة أخرى إشارة إلى أنهم وإن كانوا ذوي أبصار تنظر وترى إلا أنها عمت عن الحق، ولم تنظر إليه نظرة اعتبار واستبصار، فقد عمت قلوبهم عن الإدراك وكانت غير مبصرة للحق، وغير نافذة إلى أصله، ولما كان سياق هذه الآية في الاعتبار والاستبصار وكانت الأبصار والأسماع أدوات القلب في الحصول على العلم بالمبصرات والمسموعات اقترض القلب ألفاظ (العقل، والعمى) من ( الدماغ، والعين)؛ للدلالة على أن طريق هدايتهم مغلق لا أمل فيه، فقد عمت قلوبهم، أي أنه لا فائدة من وعظهم بالآيات السابقة،لا سيما وأن هذه الآية وقعت بين آيتين تصرحان بمصير الأمم السابقة الأولى قوله تعالى ﴿***فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾***﴾[الحج:٤٥] ، والثانية قوله تعالى ﴿***وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾***﴾[الحج:٤٨]، ومع ذلك هم مصرون على عنادهم وكبرهم وغرورهم ويستعجلون العذاب، كما جاء في قوله تعالى ﴿***وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾***﴾[الحج:٤٧] ؛ لذا استحقوا أن توصف قلوبهم بالعمى وليس أبصارهم؛ للدلالة على أن عمي الأبصار شيء هيّن، إذا ما قِيسَ بعمى القلوب.

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٩٠).

## ـ المبحث الثالث : التقارض بين جارحة اللسان وجوارح البطش .

### أ ـ اقتراض فعل الكلام للأيدي والأرجل :ـ

موقف آخر من المواقف التي اقترض فيها التعبير القرآني ألفاظ الحواس من بعضها لبعض وهو موقف الحساب يوم القيامة، فقد أنطق التعبير القرآني الأيدي، وأشهدَ الأرجل، أي أن البيان القرآني استعار من اللسان فعل النطق وأقرضه للأيدي والأرجل يحكي هذا قول الله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس:٦٥] ولم يكتف التعبير القرآني بهذا، فقد أنطق بهذه الشهادة يوم الفصل جوارح الإنسان وحواسه، وجلده كما في قول الله تعالى﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾[فُصِّلَت:٢٠]، ثم علل التعبير القرآني لهذا التقارض فأخبر عنهم حينما سألوا حواسهم عن ذلك بقوله تعالى﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فُصِّلَت:٢١]، فهذا المشهد يحكيه القرآن الكريم عن الكافرين حينما يأتون يوم القيامة يريدون أن يجادلوا عن أنفسهم، فإذا "هموا بالاعتذار فقدوا النطق وهذا ما عبر عنه القرآن بالفعل (نختم) وإنما جاء التعبير بهذا الفعل ؛ لأنهم همَّوا بالكلام مجادلين ومعتذرين، فدحضوا وفقدوا كل حُجة للدفاع عن أنفسهم، وهنا تأتي مفاجأة لم تكن في الحسبان لحظة ؛ حيث إنهم أرادوا الكلام من حيث عهدوا وهي الأفواه ليدفعوا عن أنفسهم العذاب فما استطاعوا وتكلم منهم ما ليس بمتكلِّم لإحلال العذاب عليهم..."[(١)] وهي الأيدي والأرجل، فهم حين يريدون أن"ينكروا كفرهم كما قال تعالى عنهم ما أشركنا وقالوا آمنا به فيختم الله على أفواههم فلا يقدرون على الإنكار، ويُنطق اللهُ غيرَ لسانهم من الجوارح

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢/ ٢٩٩).

فيعترفون بذنوبهم..." [1]، وإنما جاء التعبير بقوله (تكلمنا أيديهم) ؛ للدلالة على أن هذه الجارحة (الأيدي) تتكلم برغبتها واختيارها بعد ما يُقدِرُها الله تعالى على الكلام، وكأنهم بعد أن انقطعت أعذارهم، وأجبروا على السكوت بالختم على أفواههم، يقفون موقف الخزي والعار والخذلان؛ فتتبرأ منهم جوارحهم، وتنفصل عنهم مكذبة إياهم مستسلمة لخالقها، وكأن نطق الأيدي والأرجل ما هو إلا رد فعل فطري منها لأنها كانت دائمًا تحثه على الاستقامة وعدم الاعجوجاج، كما روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ - ﷺ - مرفوعًا إلى النبي - ﷺ - قَالَ «***إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدم فإن أَعْضَاءَهُ تُكَفِّرُ لِلِّسَانِ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ، اعْوَجَجْنَا*** » [2]، وكأن الأيدي والأرجل تتمرد على التبعة للسان ويصبح كل منهم كيان مستقل، " كل منهم شهود يشهدون عليه بما كان منه من منكر وضلال، وكلّ شيء فيهم ينطق شاهدًا عليهم إلا ألسنتهم التي لم تنطق في دنياهم غير الكفر والشرك، فهذه الألسنة تخرس عن أن تقول شيئا...." [3]، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم، ومما يضاعف في إيلامهم وحسرتهم أن يقوم هؤلاء الشهود الأربعة(اليدين والرجلين) بإثبات كبائرهم التي اقترفوها في الدنيا، إنهم شهود أربعة، كالذين تتم بهم الشهادة على مرتكبي الكبائر، ولا شك أن هذا يزيد في حسرتهم، فهو فعل غير متوقع يصيبه بالخيبة وفقدان الأمل في النجاة فيدعو على أعضائه بالهلاك والبعد، كما يحكيه ما روي عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ - ﷺ - مرفوعًا إلى النبي - ﷺ - «**... قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ**

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٢٦/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨/ ٤٠٢) / (١١٩٠٨) ، وقال المحقق: إسناده حسن، وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" .

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٢/ ١٣٠٢) .

**أُنَاضِلُ** » [1]، وهذا رد فعل آخر منه تجاه أعضائه التي شهدت عليه، وكأن موقف تنكر الناس من بعضهم البعض يوم القيامة اتسع ليشمل تنكر الكافرين من أعضائهم وتنكر الأعضاء منهم مصداقًا لقول الله تعالى ﴿***فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ*** ﴿١٠١﴾﴾[المؤمنون:١٠١]، فالتنكر في الأنساب شمل نسب الأعضاء أيضًا.

يتضح مما سبق أن التعبير القرآني ورد بإقراض الأيدي والأرجل فعل الكلام والنطق من اللسان يوم القيامة بالنسبة للكافر، وذلك من قبيل تشفِّي هذه الجوارح في هذا الكافر الذي أجبرها على فعل المحرمات والكبائر، فلما حانت الفرصة نهضت هذه الجوارح تائبة لربها شاهدة على جرائم صاحبها في موقف يسترعي الانتباه، ويوقظ القلوب من غفلتها.

**ب . أفعال اللسان بين المحسوسات والمعنويات :.**

**١. أسرَّ بين الأعيان والمعاني :.**

أورد (ابن فارس) من معاني (س ر ر) قوله :" السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء....، وما كان من محض الشيء وخالصه ومستقره، فالسر: خالص الشيء، ومنه السرور؛ لأنه أمر خال من الحزن." [2]، وسَرارة كل شيء: محضه ووسطه، والأصل فيها سَرارة الروضة، وهي خير منابتها، وكذلك سرة الروضة.....، وسرارة العيش: خيره وأفضله. ....، وسِر الوادي: أفضل موضع فيه...." [3]، ومحض النسب وأفضله وخالصه، وخياره، يُقَال: فلانٌ فِي سِرِّ قَوْمِه، أَي فِي أَفْضَلِهِم، وفِي أَوْسَطِهِم. كالسَّرَارِ، والسَّرَارَة،

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٨٠) (٢٩٦٩)/ كتاب الزهد والرقاق . .

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٦٧ ، ٦٨) (س ر ر).

(٣) لسان العرب (٤/ ٣٥٩) (س ر ر).

بِفَتْحهما، وسَرَارُ الحَسَبِ، وسَرَارَتُه: أَوْسَطُه...." [١] ،أي أن معاني هذا الفعل تتردد بين معاني إخفاء الشيء، ومحض الشيء أي أفضله وأحسنه وأوسطه، ويمكن الربط بين هذين المعنيين بأن أفضل الأشياء وأحسنها يميل الإنسان إلى إخفائها والاحتفاظ بها سواء أكانت هذه الأشياء حسية مثل (سر الوادي ) أم كانت معنوية مثل (سر القوم)، وبالنظر في مواضع الفعل (أسرَّ) القرآن الكريم يتضح ورود معمول الفعل ( أسرَّ)- وهو مأخوذ من السر الذي هو "لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن، وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة." [٢]- في القرآن الكريم دالًا على الأشياء المعنوية، حيث ورد هذا الفعل مع القول والحديث [٣]، ومع النجوى[٤]، ومع الندامة[٥]، ومع المودة[٦]، ولعل هذا مرده أن مثل هذه المعاني النفسية المتعلقة بالقلب والعقل يتناسب معها فعل الإسرار؛ لأن اللسان هو الآلة التي تغترف من القلب، وتعبر عما في النفس، سواء أكان ما في النفس فرحٌ وسعادة أم ندم وحسرة، فاللسان " آلة العلوم وترجمان القلب ورسوله المؤدي عنه...، وجُعل دليلٌ على اعتدال مزاج القلب وانحرافه كما جُعل دليلٌ على استقامته واعوجاجه ...، كما يستدل السامع بما يبدو عليه من الكلام على ما في القلب فيبدو عليه صحة القلب وفساده ..."[٧]،أي أن اللسان خادم للقلب لا يستطيع له خلافًا، إذا أمره بالكلام تكلم، وإذا أمره بالإسرار أسر، وإذا أمره بالجهر جهر، فاللسان وسيلة لنقل الخواطر النفسية في صور سرية أو جهرية وفق

(١) القاموس المحيط صـ ٤٠٦ ، تاج العروس (١٢/ ٧) (س ر ر)..
(٢) التعريفات صـ ١١٨ ..
(٣) [الرعد:١٠] ، [المُلك:١٣] ،[التحريم:٣] .
(٤) [طه:٦٢] ، [الأنبياء:٣].
(٥) [يونس:٥٤] ، [سبأ:٣٣].
(٦) [الممتحنة:١].
(٧) التبيان في أقسام القرآن صـ ٣٠٩ ، ٣١٠ .

طبيعتها، ولما كانت هذه خواطر نفسية كان الأنسب معها الإسرار بها في النفس؛ لأن السر "إخفاء الشيء في النفس ولو اختفى بستر أو وراء جدار لم يكن سرًا، ويقال: في هذا الكلام سر تشبيها بما يخفى في النفس..." [(١)]، ومما يدلل على أن الإسرار يكون لما في النفس ما حكاه القرآن الكريم على لسان سيدنا يوسف عليه السلام ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف:٧٧] ؛حيث صرَّحت الآية أن الإسرار يكون في النفس ؛ لذا جاء الفعل (أسروا) مقترنًا بتلك الخواطر النفسية من قول، أو حديث، أو نجوى، أو ندامة، أو مودة، فمثل هذه المعاني مما لا يحتاج فيها إلى جهر أو ذيوع ؛ بل يُكتفى معها بالإسرار، "والكتمان في النفس" [(٢)] ؛ لئلا يطَّلع عليها الآخرون كما هو مفهوم من سياق الآيات، فالندامة في قول الله تعالى ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۖ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ:٣٣]، يليق بها الإسرار والكتمان؛لأن الندم " أسَفٌ يحصل في النفس على تفويت شيء ممكن عمله في الماضي، والندم من هواجس النفس، فهو أمر غير ظاهر ولكنه كثير، أي يصدر عن صاحبه قول أو فعل يدل عليه..." [(٣)]، وكأن هؤلاء الكافرين يوم القيامة أسروا الندامة؛ لأنهم دهشوا لرؤية ما لم يكونوا يحتسبون ؛ حيث بدا لهم سيئات ما كسبوا، كما أنهم "أسروا الندامة استبقاءً للطمع في صرف ذلك عنهم أو اتقاءً للفضيحة بين أهل الموقف" [(٤)]، فهم أسروا الندامة فيما بينهم من هول ما رأوا من العذاب، وأخفوها عن الذين نجوا من العذاب، وقد حكى القرآن الكريم من صور تنفيس التحسر والندم في قول الله تعالى﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ

(١) الفروق اللغوية للعسكري صـ ٦٣ .
(٢) المفردات في غريب القرآن صـ ٤٠٤ .
(٣) التحرير والتنوير (١١/ ١٩٨).
(٤) التحرير والتنوير (٢٢/٢٠٩).

﴿ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧﴾ [الفرقان:٢٧] فالعض على اليدين من صورتنفيس الندامة والحسرة .

وكذلك النجوى في قول الله تعالى﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء:٣] التي هي "اسم من التناجي، وهو الحديث السري، ولا تكون إلا خفية، وجعْلُ النجوى معمولا لـ (أسروا) يفيد المبالغة في الكتمان،أي: بالغوا في إسرار مناجاتهم؛ لأن المناجاة ذاتَها إسرار، ومعنى إسرارها المبالغة فيها بحيث لا يستطيع أحد أن يطلع عليهم، ولا يعرف ما أسَرُّوه وتناجَوا به." [(١)]، فالفعل (أسَرُّوا) اشترك في زيادة ملمح الكتمان والخفية، والتسارّ بتلك الأقاويل التي يتناجون بها فيما بينهم لا تخرج عنهم، فهم يُفضون بها فيما بينهم في خفية.

وكذلك (المودة) في قول الله تعالى ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة:١]، فهي من التودد، "والوداد والمحبة الفؤادية لا اللسانية "[(٢)]، أي أن المودة من الأمور المتعلقة بالقلب والفؤاد، فهي من الأمور النفسية التي تستدعي إسرارًا وإخفاءً، لا سيما إذا كانت هذه المودة بين بعض المؤمنين وبعض المشركين تكون أجدر بالستر والإسرار؛ لأنها في غير موضعها، وفي الإسرار بهذه المودة دليل على أنها " أمر تنكرونه أنتم، وينكره المؤمنون عليكم، وأنه لو كان غير منكر لأعلنتموه.. فإخفاء هذه المودة التي بين بعض المؤمنين وبين المشركين شاهد على أنها مما يعاب على المؤمن، ومما ينبغي ستره وإخفاؤه، وحسب الأمر شناعة ألا يكون له وجه يظهر به في الناس، فإن ظهر كان

(١) ينظر/ مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٢٠) ، التحرير والتنوير (٢٥١/١٦) ، زهرة التفاسير (٩/ ٤٧٤٥).

(٢) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٣/ ٢٦٧).

فضيحة لصاحبه..." [1]، فهذا دليل على مدى شناعة هذا الأمر ؛ لذا جاء تذييل هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾، أي ومن يفعل هذا الإسرار بالمودة، فقد ضل سواء السبيل؛ لأن الإسرار بها دليل على نكرها وبشاعتها.. وإذا امتنع الإسرار بها، "فقد أصبح من المستبعد إعلانها إلّا إذا كان ذلك عن كفر صريح، ورِدّةٍ عن الإيمان.. فهذا شأن آخر غير شأن المؤمنين[2]، وهذا ما يوده المشركون أن ترتدوا عن إيمانكم، فهي رغبة قائمة في صدورهم لن تهدأ إلا بعودتكم كفارًا، مصداقًا لقول الله تعالى﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[البقرة:١٠٩]

أما في قول الله تعالى ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم:٣]، فقد جاء معمول الإسرار لفظة (حديثًا)، والحديث" كلامٌ يَبْلُغُ الإنسانَ من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه ..." [3]، والحديث في هذه الآية " هو ما حصل من اختلاء النبي ﷺ بجاريته (مارية) وما دار بينه ﷺ وبين السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ ، وقوله ﷺ لحفصة ـ رضي الله عنها ـ : «**هي عليَّ حرام ولا تخبري عائشة**» [4]" ؛ لذا آثر التعبير القرآني الفعل (أسرَّ) للدلالة على أن هذا الحدث يستدعي الإخفاء والكتمان والمحافظة على إسراره، لا سيما وأنه بين الزوج وزوجه فإن أواصر الزوجية تستدعي المحافظة عليه سرًا ؛ لذا آثر

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٩٣).

(٢) السابق (١٤/ ٨٩٤) .

(٣) المفردات في غريب القرآن صـ ٢٢٢ .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١١٧) / رقم ١٢٦٤٠، وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالضَّحَّاكُ لَمْ يَسْمَعْ مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ ، ينظر/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١٧٨).

التعبير القرآني الفعل (نبَّأت به) للدلالة على إفشاء هذا السر، وفى التعبير عن كشف هذا السرّ بقوله تعالى: «نَبَّأَتْ بِهِ» "إشارة إلى ما كان لهذا الحديث عند إظهاره من أثر في بيت النبي ﷺ، وأنه أحدث هزّة، كشأن كل نبأ ؛لأن النبأ هو الخبر المثير، الذي يغطّي على غيره من الأخبار.."[1]، فعلى قدر أهمية هذا الحديث الذي طلب النبي ﷺ من السيدة (حفصة)ـ رضي الله عنها ـ إسراره جاء الإخبار عن إفشائه بالفعل (نبَّأت به) للدلالة على أنه حديث يُحتاط له ؛ لذا كان الفعل المناسب له الفعل (أسرَّ) الدال على الحديث المكتوم في النفس دون غيره .

يتضح مما سبق أن الفعل (أسرَّ) يأتي مع الأحداث المعنوية التي يشترك فيها مجموعة من الأشخاص يتفقون في الشعور النفسي الذي يجعلهم يُبدون الحدثَ المُسارّ به فيما بينهم، ويتسارُّون به على غيرهم، وقد ظهر هذا من سياق آيات النجوى، والندامة، والمودة، والحديث، وهذا إن دل فإنما يدل على أن الشيء المسارّ به ذا أهمية وقيمة، وإن كان الفعل (أسرَّ) مختصًا بالأمور النفسية إلا أنه ورد في سورة (يوسف) مقترنًا بالأعيان، وذلك في قول الله تعالى ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾[يوسف:١٩]. حيث جاء معمول الفعل (أسرَّ) ضميرًا للغائب عائدًا على شخص (يوسف) ـ عليه السلام ـ، والمعنى أنه: "لما أدلى الوارد دلوه وكان يوسف في ناحية من قعر البئر تعلق بالحبل فنظر الوارد إليه ورأى حسنه نادى، فقال: يا بشرى، ثم إنهم أخفَوا أمره ووجدانهم له في الجب من رفقائهم، وقالوا لهم: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر."[2]،

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ١٠٢٦).

(٢) ينظر في ذلك / جامع البيان (١٥/ ٤) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٥٢) ، مفاتيح الغيب (١٨/ ٤٣٣،٤٣٢).

وفي التعبير بالفعل (أسرُّوه) إشعار بأن الشيء المسارَّ به مصدر فرح غير مترقب، ولله دره (ابن عاشور) حين قال : إنهم "أخفوا خبر التقاطه خشية أن يكون من ولدان بعض الأحياء القريبة من الماء قد تردَّى في الجب، فإذا علم أهله بخبره طلبوه وانتزعوه منهم؛ لأنهم توسموا منه مخائل أبناء البيوت، وكان الشأن أن يُعرِّفوا من كان قريبًا من ذلك الجب ويعلنوا كما هو الشأن في التعريف باللقطة ؛ ولذلك كان قوله: وأسروه مشعرًا بأن يوسف- عليه السلام- أخبرهم بقصته، فأعرضوا عن ذلك طمعًا في أن يبيعوه، وذلك من فقدان الدين بينهم أو لعدم العمل بالدين." [1]، أي أن إسرارهم لأمر يوسف- عليه السلام إنما منشؤه خلل نفسيٌّ ينم عن فقدان الدين لديهم لا سيما وأن الغلام حالُهُ يستدعي إسرار خبر التقاطه، فقد كان وجهه صبوحًا مشرقا؛ مما جعل الوارد يستبشر به، وينادي البشرى من فرط فرحته، ثم اتفاقهم على إسرار أمره فيما بينهم دون إعطاء اللقطة حقها من التعريف؛ خشية أن ينتزعه أهله، لذا جاء تذييل هذه الآية بقول الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩﴾، أي أنه تعالى " لم يخفَ عليه أسرارهم، وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم، وهذا من سوء الصنيع." [2]، وإن كانت هناك أمور كثيرة حالت أمام يوسف - عليه السلام- من كيد إخوته له، ومن إسرار السيارة أمره، إلا أن الله تعالى سهَّل السبيل في خلاص يوسف- عليه السلام من محنة الجب بأن ساق له هذه السيارة، ففي عثور السيارة على الجب الذي فيه يوسف- عليه السلام- آية من لطف الله به أن صيَّر الله تعالى هذه الأمور سببًا في تحقق رؤياه.

يتضح مما سبق أن التعبير بالفعل (أسرَّ) ورد في القرآن الكريم مختصًا بالمعاني في أغلب المواضع، وهذه المعاني ذات قيمة وأهمية بالغة

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٢ ، ٢٤٣ ).
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٥٢).

تستدعي الإسرار وعدم البوح بها ؛ لذا جاء التعبير بهذا الفعل، كما أنه ورد مع الأعيان في قصة سيدنا (يوسف) – عليه السلام– ولعل مرد ذلك إلى أن هذا الشيء المسارَّ به مبعث فرح وسرور غير مترقب، كما أن حالُه يستدعي إسرار خبر التقاطه؛ لجماله وإشراقه .

**٢. كتم بين الأعيان والمعاني** [١] :.

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم (عشرين) مرة بمعنى الخفاء والستر للأشياء المعنوية، وفي هذا يقول (العسكري) :" المكتوم يختص بالمعاني كالأسرار والأخبار؛ لأن الكتمان لا يستعمل إلا فيهما، والمستور يختص بالجثث والأعيان؛ لأن الأصل في السر تغطية الشيء بغطاء...، ويؤيده قولهم في الدعاء:" **لا تبرز مكتومي ولا تكشف مستوري**"، والعطف ظاهر في المغايرة فهو من باب عطف الشيء على مغايره، أو من عطف العام على الخاص"[٢]، أي أن الكتم أخص من الستر والإخفاء ؛ ولهذا اختص بالأشياء المعنوية كالأسرار وأحاديث التناجي، وكل ما في القرآن من هذا التركيب فهو بمعنى: "حبس الكلام عما في القلب من شهادة أو علم أو فكر وتدبير أو عقيدة "[٣]، وقد استأثرت سورة (البقرة) وحدها بنصف عدد مرات هذا الورود وهو(عشر مرات)، وهذا يُعد من قبيل الإعجاز العددي في القرآن الكريم وهو استحواذ سورة (البقرة) وحدها على نصف عدد مرات الورود، ولعل ذلك

(١) وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بمعنى إخفاء وستر عشرين مرة في كل من [البقرة:٣٣ ، ٤٢ ، ٧٢ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ٢٢٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٢ ]، [آل عمران:٧١ ، ١٦٧، ١٨٧ ]، [النساء:٤٢ ]، [المائدة:٦١ ، ٩٩ ، ١٠٦]، [النور:٢٩]، [الأنبياء:١١٠]، [غافر:٢٨].

(٢) معجم الفروق اللغوية صـ ٤٤٨ .

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم صـ ١٨٦٩ .

يتناسب مع محور هذه السورة وهو الحديث عن المنافقين[1] الذين يكتمون الكفر ويخفونه، ويكتمون الحق، ويكتمون الشهادة، ويحرفون الكلم عن مواضعه بكتمانهم ما أنزل الله من البينات والهدى، ويكتمون الحديث ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فكلها تدور حول ما يُخفَى في النفس إلا أنه وردت آية واحدة وهي قول الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾[النساء:٣٧] وهذه الآية تصف (اليهود) وبخلهم بالعلم أو بالمال كما قال المفسرون، وإن كان سياق الآيات يرجح كون "المراد منه البخل بالمال؛ لأنه تعالى ذكره عقيب الآية التي أوجب فيها رعاية حقوق الناس بالمال، فإنه تعالى قال ﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾[النساء:٣٦]، ومعلوم أن الإحسان إلى هؤلاء إنما يكون بالمال، ثم ذم المعرضين عن هذا الإحسان فقال﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾[النساء:٣٦] ثم عطف عليه ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ فوجب أن يكون هذا البخل بخلًا متعلقا بما قبله، وما ذاك إلا البخل بالمال" [2]، وعلى هذا يكون المعنى:"الذين يبخلون بأموالهم التي ينفقونها في حقوق الله وُسُبله، ويأمرون الناس من أهل الإسلام بترك النفقة في ذلك، فيكون بخلهم بأموالهم، وأمرهم الناس بالبخل

(١) ومن ذلك ما قاله أحد الباحثين المحدثين :" إن أكثر ما وردت كلمة «الناس» في سورة (البقرة ) كان المعني بها المنافقين، ونجد أنها مرة تعني الكفار، ومرة تعني اليهود، ومرة تعني بني آدم جميعا، إلا أنّ عمومها في الحديث عن المنافقين يدلّ على ملاطفة الخالق لهم، واستجلاب قلوبهم، ففي اختيار كلمة «الناس» وعمومها عدم مجابهة المنافقين بتعيينهم، وفي ذلك ستر عليهم، وإغراء لهم بالإقلاع عن نفاقهم، ذلك أنهم ما داموا لم يُعيّنوا؛ مِن المتوقع أن يصغوا للقرآن./ ينظر/ جماليات المفردة القرآنية . ٢٧٩.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٠/ ٧٨).

بأموالهم...." [1]، ليس هذا فحسب بل إن هذه الآية لم تقتصر على ذكر هذه الأحوال المذمومة من وصفهم بالبخل، ووصفهم بكونهم آمرين غيرهم بالبخل وهذا هو النهاية في حب البخل، بل تعدى الأمر أن وصفتهم بأنهم يكتمون ما آتاهم الله من فضله ؛ لكل هذا استحقوا بغض الله تعالى لهم في قوله تعالى نهاية الآية السابقة عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء:٣٦] فهؤلاء "المختالون الفخورون، الذين يبغضهم الله، هم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، فقد بخل اليهود بما في أيديهم من مال؛ بل إن بخلهم بالمال كان مضرب المثل في الدنيا كلها؛ إذ لا يُعرف شعب من الشعوب استبدّ به هذا الداء مثل اليهود..."[2] الذين اشتهروا بأنهم يكتمون ما آتاهم الله من فضله، وكتمانهم لم يقتصر على الأشياء المعنوية (كالأحاديث والأسرار) بل إن الكتمان صار غريزة نفسية فيهم فهم يكتمون كل شيء ؛ ولهذا جاء التعبير القرآني بقوله (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) وهذا ما أفاده التعبير باسم الموصول (ما) الذي هو شبيه باسم الشرط في الإبهام والعموم..."[3]، وكأن هؤلاء اليهود تملَّك منهم الكتمان مبلغًا لم يقتصر على الأسرار أو الأحاديث فقط ؛ بل تعدى ذلك ليشمل كل ما آتاهم الله من فضله، وإذا كان الكتمان في اللغة يدل على"إخفاء وستر، من ذلك كتمت الحديث كتمًا وكتمانا"[4]، قال الله تعالى ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ۝٤٢﴾[النساء:٤٢]، وكتمت الشيء كَتما وكِتمانًا واكْتَتَمْتُهُ أيضًا، واسْتَكْتَمْتُهُ سرّي: سألته أن يَكْتُمَهُ، وكاتَمني سرَّه: كَتَمَهُ عني، ورجل كُتَمةٌ، مثال هُمَزة، إذا كان يكتم سره."[5]، فإن هذه

(١) جامع البيان للطبري (٨/ ٣٥٥).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٣/ ٧٩٠) .

(٣) شرح التصريح على التوضيح / خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، (٩٠٥هـ)/ دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان/ ط١/ ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م/ (١/ ٣١٧).

(٤) مقاييس اللغة (٥/ ١٥٧) (ك ت م).

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ٢٠١٨) (ك ت م)..

الآية باختصاصها باليهود جعلت معنى الكتمان يتسع ليشمل كل شيء آتاهم الله إياه من نعم محسوسة كالعلم أو المال، وقدجاء التعبير بلفظة (يكتمون) دون غيرها كالكَنز أو الإمساك أو الإخفاء للدلالة على أن طبيعة الأشياء التي خلقها الله تعالى للإنسان الاستطراق وإرادة الظهور باعتبارها مسخرة لخدمة البشرية جمعاء، وكأن كل نعم الله " تريد أن تخرج للناس ولكن أصحابها يكتمونها، وكأن الفطرة الطبيعية في كل رزق سواءً أكان رزقاً ماديًا أم رزقًا معنويًا أنه يستطرق؛ لأن كل شيء مخلوق لخدمة الإنسان، فعندما يأتي إنسان ويحوز شيئًا مما هو مخلوق لخدمة الإنسان ويحجبه فهو بذلك يمنع الشيء المكتوم من رسالته..."(١) ؛ لذا جاء التعبير القرآني في هذه الآية بالفعل (يكتمون) للدلالة على أن الأشياء التي آتاها الله تعالى لهم لا تطاوعهم على الإخفاء والستر، فهي تحب الظهور والإعلان وهم يخفونها قسرًا وجبرًا بالكتمان وبطبيعتهم النفسية المختزِنة التي تؤْثِر كتم الأشياء .

كما ورد الفعل (كتم) مع الأشياء الحسية أيضًا، مع أن المكتوم يختص بالمعاني كالأسرار والأخبار، وذلك للتعبير عن وازع نفسي يبعث على الكتمان دون غيره كما في قول الله تعالى﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[البقرة:٢٢٨]، فهذه الآية وردت في"سياق التشريع، أي سن قانون"(٢) وحكم تكليفي يستحق النفاذ لمن يؤمن بالله، وهو أن " حرائر النساء اللاتي يُطَلَّقن وهنّ من ذوات الحيض . فلسن يائسات انقطع عنهنّ الحيض، ولا صغيرات لم يصلن إلى سن الحيض– ينتظرن ثلاث حيض بعد الطلاق حتى يتزوّجن،

(١) تفسير الشعراوي (٤/ ٢٢٣٠).

(٢) كما في قول الله تعالى ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة:٢٣٣] ، ينظر دراسة الزمن في اللغة / د. محمد رجب الوزير/ مجلة علوم اللغة / مجلد ٦ / عدد ١/ ٢٠٠٣م / صـ٥٩.

ليظهر أنهنّ غير حوامل...، ولا يحل للنساء أن يكتمن ما خلق الله في الأرحام من ولد إذا علمن به، أو حيض ليطلن عدتهنّ..."[١]، وقد جاء هذا الحكم فى صورة الخبر ولكنه يحمل في طياته الأمر والإلزام، فهو خبر عما "استقر في الشريعة وثبت في الديانة التي نحن مأمورون بها على الجملة، فمن ههنا صرنا مأمورين بتلك الأفعال، وإن لم تكن على صيغ الأمروالنهي في المقال..."[٢]، والتعبير القرآني استعمل أسلوب الإيجاز والاختزان في هذه الآية ؛ حيث دلَّت هذه الآية بألفاظها القليلة دلالة واضحة على المعاني الكثيرة الوفيرة الغزيرة، لا سيما وأن موضوع هذه الآية موضوعٌ فقهيٌ يتطلب التفصيل فلجأ التعبير القرآني إلى أسلوب مختزِن لمعاني كثيرة، فقوله تعالى(**وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ**) على قلة ألفاظة إلا إنه يختزن معاني كثيرة تطابق حال هذه المطلقة وتراعي حالتها النفسية، فعلى هذه المطلقة أن تنتظر دون زواج جديد حتى تطهر من ثلاث حيضات، ولا شك أن هذه المطلقة في هذه الحالة تشعر بكونها غير مرغوب فيها من زوجها، فتندفع بوازع نفسي لرد اعتبارها وذلك باجتذاب زوج جديد ؛ فجاء هذا التعبير القرآني بالأمر بالتربص والمكث في صورة الخبر، ولم يكتف بهذا؛ بل أسند التربص إلى (النفس) فقال (يتربصن بأنفسهن)، وقد التفت (الزمخشري) إلى ذلك فقال:" وفي ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث؛ لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن، وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص." [٣]، ومع أن المتربصة هي نفسها المطلقة إلا

---

(١) تفسير المراغي (٢/ ١٦٤) .

(٢) نتائج الفكر في النحو/أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (٥٨١هـ) / دار الكتب العلمية – بيروت/ط١: ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م صـ ١١٣ .

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٧١).

أن التعبير جاء على هذا النسق ؛ لبيان " أن النفس الواعية المكلفة والنفس الأمارة بالسوء تكونان في صراع على الوقت..." [1] وكأن هذا التعبير يشير إلى تلك الرغبة النفسية الدافعة للمطلقة إلى استئناف حياة زوجية جديدة ؛ لكي تثبت لنفسها ولغيرها أن إخفاقها في الحياة الزوجية لم يكن لعجز فيها أو نقص، وأنها قادرة على أن تتزوج بآخر، وأن تنشئ حياة زوجية جديدة، وإنما جاء هذا التعبير بهذه الكيفية تصويرًا للحالة النفسية للمرأة التي وقع عليها الطلاق فتراها تسعى بشغف وشدة إلى رد اعتبارها وكرامتها ؛ فجاء التعبير القرآني بهذه الصورة لردع المرأة عن ذلك وإلزامها بالتربص والمكث مدة العدة، ليس هذا فحسب؛ بل أضاف حكمًا آخر، وهو أنه (لا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) من حمل أو من حيض، وكأن التعبير القرآني بهذا يلمس قلوبهن بذكر الله الذي يخلق ما في أرحامهن، ويستجيش كذلك شعور الإيمان بالله واليوم الآخر، فجعل شرط هذا الإيمان ألا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن، ثم يذَكِّرهن بيوم الجزاء وما فيه من العقاب لو كتمن ما خلق الله في أرحامهن، وهو يعلمه لأنه هو الذي خلقه، فلا يخفى عليه شيء منه، فلا يجوز كتمانه عليه- سبحانه- تحت تأثير أي رغبة، أو هوى، أو غرض من شتى الأغراض التي تعرض لنفوسهن، والتعبير القرآني بهذا يراعي حالات النفس الإنسانية ومشاعرها وميولها، وكأنه يشير إلى أن هذه المطلقة بدافع من رد اعتبارها أمام مطلقها ستحاول كتمان ما خلق الله في رحمها من حمل أو حيض ؛ لذا جاء التعبير بالفعل(يكتمن) للدلالة على أن هذا المكتوم يحاول الخروج والظهور وهي تمنعه، وكأنما كتمها له معاندة لله ومكابرة لا تليق؛ لذا أثارهن إلى الاعتراف بما في أرحامهن، بأن هذا الإنكار لا يتناسب مع الإيمان بالله واليوم الآخر، ولما كان الكتمان أخص من الإخفاء، تقول :" كتمت

(١) تفسير الشعراوي (٢/ ٩٨٤).

المعنى وأخفيته فالإخفاء أعم من الكتمان." [١]، وكان "انقضاء العدة مبنيا على انقضاء القرء في حق ذوات الأقراء، ووضع الحمل في حق الحامل، وكان الوصول إلى علم ذلك للرجال متعذرًا؛ جعلت المرأة أمينة في العدة، وجعل القول قولها إذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها.." [٢] ناسب التعبير بالكتمان عن ذلك دون غيره ؛ لأنه من خصوصيات المرأة، وللدلالة على شدة استيثاق هذه المطلقة في كتم هذا لئلا يطلع عليه شيء فكأنها ختمت عليه وطبعت فلا يستطيع الخروج والظهور، وفي بيان قوة (الكتم) يقول (الزمخشري) :"الختم والكتم أخوان ؛لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه..." [٣] .

(١) معجم الفروق اللغوية صـ ٤٤٨ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٤٣٨).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٤٨).

## ـ المبحث الرابع :التقارض بين حاسة الشم وجميع الحواس:ـ

جرى العرف اللغوي تعريف الحواس الخمس بأنها : المشاعر الخمس، وهي "السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس..."[(١)]، هكذا بهذا الترتيب، فالحاسة الأولى :"السمع، وهي (الحاسة) المدرِكة للأصوات، وهي أدق الحواس، وأغمضها، في كيفية تحصيل الإدراك بها، والثانية: البصر، وهي الحاسة التي تدرك بها: المبصرات. وهي أغلظ من السمع، وأدق من غيره، والثالثة: الشم، وهي الحاسة التي يدرك بها: الروائح الطيبة والكريهة، والرابعة: الذوق، وهي الحاسة التي يدرك بها: الطعوم من الحلو والحامض، وغير ذلك، والخامسة: اللمس، وهي الحاسة التي يدرك بها: الناعم من الخشن وهي أغلظ الحواس، والإحساس بالشيء العلم به..." [(٢)]، وإذا كانت حاسة (الشم) في المرتبة الثالثة بعد السمع والبصر إلا أنها تعد أقل الحواس ورودًا في القرآن الكريم، ولعل مرد هذا إلى" ضآلة ومحدودية العلوم والمعارف التي تكتسب بواسطة جارحة (الأنف) وحاسة الشم، إضافة إلى قلة الأوامر والنواهي والتكاليف التعبدية المتعلقة بالأنف، فإن القرآن الكريم قد أشار إلى هذه الجارحة إشارة عارضة في آية واحدة، وهي تلك الآية التي تعدد حكم القصاص في النفس والحواس في قول الله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[المائدة:٤٥]، والتي منها العين والأذن ..." [(٣)]، ليس هذا فحسب بل إن ورودها لم يأتِ مُشارًا إليها بالفعل (شمَم) كما يقتضي التعبير

(١) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف صـ ٣٠٧ .

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر صـ ٢٤٠ .

(٣) ينظر ذلك في الحواس الإنسانية في القرآن الكريم ./ د. محمد طالب مدلول / دار الكتب العلمية / صـ ١٣٨ : ١١٤٠ .

عن حاسة الشم، فالموضع الذي ورد فيه الإشارة إلى حاسة (الشم) في القرآن الكريم كان في سورة (يوسف) ـ عليه السلام ـ على لسان سيدنا (يعقوب) . عليه السلام . في قول الله تعالى﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤﴾[يوسف:٩٤]، فهذه الآية تبين أن الله تعالى قد أعطى نبيه يعقوب ـ عليه السلام ـ حاسة شم خارقة للعادة حينما شم رائحة قميص يوسف من مسافة مسيرة ثمانية أيام، ولا غرو في ذلك فإن كل سهل في زمان المحنة صعب، وكل صعب في زمان المنحة سهل، والله تعالى محن يعقوب محنة عظيمة، ثم منحه وكافأه منحة أعظم، وهكذا يكون جزاء الصابرين، لا سيما إذا كان هذا الممتَحَن هو نبي الله سيدنا (يعقوب) عليه السلام، وفي هذا يقول (الرازي) إن :"الأنبياء ***عليهم الصلاة والسلام*** لا بد وأن يكونوا مخالفين لغيرهم في القوى الجسمانية....التي هي إما مدركة، وإما محركة، أما المدركة: فهي إما الحواس الظاهرة، وإما الحواس الباطنة، أما الحواس الظاهرة فهي خمسة، أحدها: القوة الباصرة، وثانيها: القوة السامعة، وثالثها: تقوية قوة الشم، كما في حق يعقوب عليه السلام، فإن يوسف عليه السلام لما أمر بحمل قميصه إليه وإلقائه على وجهه، ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤﴾[يوسف:٩٤] فأحس بها من مسيرة أيام ... " [(١)]، ومعنى: لأجد ريح يوسف " أشم وعبر عنه بالوجود ؛ لأنه وجدان له بحاسة الشم..." [(٢)]، والريح: الرائحة، وهي ما يعبق من طيب تدركه حاسة الشم، وإنما آثر التعبير بالفعل (أجد) دون الفعل (أشم) ؛ لأن هذا الفعل لا يقتصر التعبير به على حاسة الشم فقط ؛ بل إن ذلك يتعدى إلى غير ذلك من الحواس، وقد فطن (الراغب) إلى ذلك فقال: "الوجود أضرب: وجود بإحدى الحواس الخمس، نحو: وجدت زيدًا، ووجدت طعمه، ووجدت صوته، ووجدت خشونته، ووجود بقوة الشهوة نحو: وجدت

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٨/ ١٩٩ ، ٢٠٠) .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ٨٠٥) .

الشبع، ووجود بقوة الغضب كوجود الحزن والسخط، ووجود بالعقل، أو بواسطة العقل كمعرفة الله تعالى، ومعرفة النبوة... ويعبر عن التمكن من الشيء بالوجود، نحو قوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[التوبة:٥]، أي: حيث رأيتموهم...، وقوله تعالى ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[النمل:٢٣]، فوجود بالبصر والبصيرة، فقد كان منه مشاهدة بالبصر، واعتبار لحالها بالبصيرة، ولولا ذلك لم يكن له أن يحكم بقوله: وجدتها وقومها الآية..." [(١)]، وكأن هذا الشيخ المبتلى الصابر المحتسب في آخر محنته الطويلة التي بدأت أولا بفقد ابنه المحبب إليه، ثم حبس العزيز أخاه (بنيامين) ثم الأخ الأكبر، يتكلم بكل ثقة في الله تعالى والتي تمثلت في قوله لأبنائه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾[يوسف:٨٣]، فيعقوب عليه السلام " لما طال حزنه وبلاؤه ومحنته علم أنه تعالى سيجعل له فرجًا ومخرجًا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن برحمة الله" [(٢)]، لقد وقع فى نفس يعقوب عليه السلام أن محنته فى بنيه- يوسف عليه السلام، وأخيه، وكبير أبنائه- قاربت أن تزول، وأن بوارق الأمل أخذت تلوح له فى الأفق، وأن إيمانه بربّه، ورجاءه في رحمته لن يخذلاه أبدًا، ولن يسلماه إلا إلى السلامة والعافية ؛ ولهذا فهو على رجاء بأن الله- **سبحانه**- سيلطف به، وسيجمع شمله المبدّد، ويعيد إليه أبناءه الذين لعبت بهم يد الأحداث.." [(٣)]، فعبر عن ذلك بهذا الرجاء المُحقَّق لاَ شَكَّ فيه(عسى الله) فكان بمثابة التأكد من عودة أبنائه ثانية بداية من (يوسف) عليه السلام الذي عبر عن التأكد من عودته بقوله ( إني لأجد ريح يوسف) دون (إني لأشم ريح يوسف) للدلالة على أن يعقوب تأكد من وجود يوسف بجميع

(١) المفردات في غريب القرآن صـ ٨٥٤ ، ٨٥٥ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ٤٩٦).

(٣) التفسير القرآني للقرآن (٧/ ٣٢).

جوارحه، وإن كان فقد بصره فقد وجده ببصيرته، وكأن في التعبير بالفعل (أجد) دلالة على التمكن من الشيء بالوجود لا الشم فقط، وكأن هذه الريح بمثابة " مشاعر وخواطر، مثّلت له يوسف قريبا منه، مقبلا إليه، أشبه بالطيف الزائر فى المنام، أو الخاطر المسعد فى أحلام اليقظة.. وذلك كلّه من ألطاف الله بيعقوب، ومن إشراقات النفس الصافية، وانطلاقات الروح من كثافة المادة، وقيود الجسد..." [1]، وكأن ريح البشرى نفسَها تسبِقُ الحامل لها، "فيجد لها المحمولة إليه، وقعا طيبا فى نفسه، وشعورًا مسعدًا فى كيانه، قبل أن تبلغه" [2]، فيعقوب "وصل إلى درجة من الشفافية تجعله منسجمًا مع الكون كله، فيصله رزق الله تعالى له من أيِّ مكان." [3]، وهو يتلقى هذا الرزق بأي وسيلة فتراه يبصر ببصيرته، ويشم بجميع جوارحه، ويعبر عن هذا بقوله (إني لأجد ريح يوسف) أي أجدها بجميع جوارحي لا بأنفي فقط .

يتضح مما سبق أن التعبير بالفعل (أجد) في مقام حاسة (الشم) إنما جاء لبيان تلك الحالة من التصالح وتصافي الجوارح عند سيدنا (يعقوب) عليه السلام وسيدنا (يعقوب) عليه السلام ما وصل إلى هذه الحالة إلا بعد الوصول إلى حالة من انسجام الحواسِّ، فجميع حواسه تعمل مع بعضها دون تعارض، وهذا لا يتأتى إلا من نفس صافية مطمئنة واثقة في ربها.

(١) التفسير القرآني للقرآن (٧/ ٤٤).
(٢) المصدر السابق (١٤/ ٥٢٢) .
(٣) تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٢٣٩).

## ـ الخـــــاتمـــة:

بعد هذه الجولة القصيرة مع ظاهرة التقارض بين ألفاظ الجوارح في القرآن الكريم اتضح كيف أن القرآن الكريم وظَّف ظاهرة التقارض بين ألفاظ الجوارح وجعلها وسيلة للكشف عن مكنونات النفس، وهذا يعد من قبيل الإعجاز اللغوي.

**هذا وقد توصلت هذه الدراسة إلى بعض النتائج من أهمها :.**

ـ إذا كانت الدراسات الحسابية لألفاظ الجوارح في القرآن الكريم قد بيَّنت أن حاسة (السمع) أكثر الحواس ورودًا في القرآن الكريم؛ حيث ورد الفعل(سمع) بمشتقاته (خمسًا وثمانين ومائة) مرة إضافة إلى أفعال أخرى تعبر عن حاسة السمع مثل (أنصت، أصغى)، تليها حاسة (البصر)؛ حيث ذكر الفعل (بصر) (ثمانٍ وثلاثين ومائة) مرة إضافة إلى (رأى، ونظر) إلا أنه حيثما وردت كلمة السمع في القرآن الكريم كان المقصود منها دائما "سماع الكلام والأصوات وإدراك ما تنقله من معلومات، بينما لم تعْن كلمة البصر رؤية الضوء والأجسام والصور بالعينين إلا في(ثمان وثمانين) حالة فقط، إذ إنها دلت في باقي المرات على التبصر العقلي والفكري بظواهر الكون والحياة، أو بما يتلقاه المرء ويسمعه من آيات وأقوال" (١)، وهذا يعد من قبيل التقارض بين جارحتي العين والعقل .

. أن التقارض بين ألفاظ الجوارح كان أكثر وقوعه في ألفاظ البصر، وهذا ما أثبتته هذه الدراسة، فقد وقع التقارض بين ألفاظ جارحة (العين) وكل من(العلم، والبطش، والقلب، واللمس، والسمع، واللسان، والذوق ) .

ـ كما أن من نتائج هذه الدراسة الكشف عن استئثار سورة (البقرة) وحدها بنصف عدد مرات ورود الفعل (كتم) الذي ورد بمعنى (إخفاء وستر)عشرين

---

(١) الإعجاز في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم د. صادق الهلالي ص . ١٥ / دار جياد للنشر والتوزيع / ط٤ / ٢٠١١ . ١٤٣٢

مرة في القرآن الكريم فورد في سورة البقرة وحدها(عشر مرات)، وهذا يُعد من قبيل الإعجاز العددي في القرآن الكريم ولعل ذلك يتناسب مع محور هذه السورة وهو الحديث عن المنافقين الذين يكتمون الكفر ويخفونه، ويكتمون الحق، ويكتمون الشهادة، ويحرفون الكلم عن مواضعه بكتمانهم ما أنزل الله من البينات والهدى، ويكتمون الحديث ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

ـ كما أن من أهم نتائج هذه الدراسة أن حاسة (الشم) تعد أقل الحواس ورودًا في القرآن الكريم، فلم ترد مصرحًا بها إلا في سوة (يوسف) عليه السلام على لسان (يعقوب) عليه السلام حينما أخبر أنه وجد ريح يوسف عليه السلام من مسيرة أيام، وقد عبر عن ذلك بالفعل (أجد) أي أن يعقوب أعمل جميع جوارحه كي يشم ريح يوسف عليه السلام، وكأن القرآن الكريم بذلك يُعلِّمنا أن الريح هو أثبت الآثار في الإنسان ، فها هو يوسف عليه السلام غائب عن أبيه منذ سنوات طويلة ومع ذلك وجد أبوه رائحته، وكأن موضع حاسة (الشم) وإن كان وحيدًا في القرآن الكريم إلا أنه استعاض عن ذلك بصحة إقامة جميع الحواس مقام حاسة الشم هذه فيعقوب عليه السلام وجد رائحة يوسف ببصيرة قلبه، وبثقته وحسن ظنه بربه الناتجة عن عقل راجح يثق في تصريف الله تعالى، وكأنه تحسَّسه بجميع حواسه ؛ لهذا قال (إني لأجد) أي أتأكد من وجوده تأكدًا مكنني منه جميع حواسي لا الشم فقط .

ـ كما أكدت هذه الدراسة على أن مواضع التقارض والتراسل بين الجوارح محل الدراسة الذي يعد عدولًا عن الأصل إنما جاء مراعاة للحالة النفسية للمخاطب أو المتكلم واتضح ذلك مع (السامري، وأخت موسى، ويعقوب عليه السلام...) . وكأن القرآن الكريم وظَّف ظاهرة التقارض بين الجوارح وجعلها وسيلة للكشف عن مكنونات النفس، وهذا يعد من قبيل علم اللغة النفسي .

ـ أن ظاهرة التقارض بين الجوارح هذه ترجمت المشاعر والعواطف الإنسانية وجعلت هذه المشاعر غير المنطوقة شاخصة للمستمع، وبهذا تكون هذه الظاهرة قد ساهمت في خلق حالة من التواصل الفكري والنفسي بين المتكلم والمخاطب .

## ـ فهرس المصادر والمراجع :ـ


. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود )/ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى / دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـ البحر المحيط في التفسير/ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)/ تح:صدقي محمد جميل/ دار الفكر– بيروت/ ١٤٢٠ هـ.

. البنية الحسية في التعبير القرآني . دراسة بلاغية د. إبراهيم سعيد السيد / دار النابغة للنشر والتوزيع /ط١/١٤٣٥هـ . ٢٠١٤م

ـ البيان والتبيين / عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، (الجاحظ) ( ٢٥٥هـ)/ دار ومكتبة الهلال، بيروت/ ١٤٢٣ هـ.

ـ تأويل مشكل القرآن / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) / تح: إبراهيم شمس الدين / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

. تاج العروس من جواهر القاموس/ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ( ١٢٠٥هـ) دار الهداية.

. التبيان في أقسام القرآن/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)/ تح: محمد حامد الفقي/ دار المعرفة، بيروت.

ـ التحرير والتنوير/محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)/ الدار التونسية للنشر – تونس/ ١٩٨٤ هـ.

ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف/صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي تح. السيد الشرقاوي/ مكتبة الخانجي– القاهرة/ط١/ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

. التفسير البياني للقرآن الكريم / عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ( ١٤١٩هـ)/ دار المعارف – القاهرة/ ط٧.

. تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي ( ١٤١٨هـ)/ مطابع أخبار اليوم.

ـ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)/ محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (١٣٥٤هـ)/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٩٠ م .

ـ التفسير القرآني للقرآن/ عبد الكريم يونس الخطيب (١٣٩٠هـ)/ دار الفكر العربي – القاهرة.
ـ تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي ( ١٣٧١هـ)/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر/ ط١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
ـ تفسير مقاتل بن سليمان تفسير مقاتل بن سليمان(١٥٠هـ)/ تح / عبد الله محمود شحاته/ دار إحياء التراث – بيروت/ ط١ – ١٤٢٣ هـ .
ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ محمد سيد طنطاوي/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة/ط١.
. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد/ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ)/ تح / مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري/ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب / ١٣٨٧ هـ .
. تهذيب اللغة/ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ) تح/ محمد عوض مرعب / دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ط١، ٢٠٠١م
. جامع البيان في تأويل القرآن / محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري ( ٣١٠هـ)/ تح./أحمد محمد شاكر/ مؤسسة الرسالة/ ط١، ١٤٢ هـ .
ـ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون/ القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (١٢هـ)/تعريب/ حسن هاني فحص/ دار الكتب العلمية – لبنان ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
ـ الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)/ تح .أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ دار الكتب المصرية – القاهرة/ ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
ـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) تح: محمد زهير بن ناصر/ دار طوق النجاة /ط١/ ١٤٢٢هـ.

. جماليات المفردة القرآنية/ أحمد ياسوف/ دار المكتبى- دمشق/ ط٢، ١٤١ هـ
ـ جمهرة اللغة/ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)/ تح./ رمزي منير بعلبكي/ دار العلم للملايين – بيروت/ ط١، ١٩٨٧م .
ـ الحواس الإنسانية في القرآن الكريم ./ د. محمد طالب مدلول / دار الكتب العلمية.
ـ الخصائص/أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي(٣٩٢هـ)/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ط٤.
ـ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية / عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (١٤٢٩هـ)/ مكتبة وهبة/ ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .
. دراسة الزمن في اللغة / د. محمد رجب الوزير/ مجلة علوم اللغة / مجلد ٦ / عدد ١/ ٢٠٠٣م.
. دور الكلمة في اللغة / ستيفن أولمان / ترجمة وتقديم وتعليق د.كمال محمد بشر / مكتبة الشباب . المنيرة /١٩٧٥ /صـ٩٦.
. ديوان الإمام علي بن أبي طالب . كرم الله وجهه . / جمع وترتيب عبد العزيز الكرم / ط١/ ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٨م.
ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ)/ تح: علي عبد الباري عطية/ دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/ ١٤١٥ هـ.
ـ الزهد والرقائق لابن المبارك / أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك (١٨١هـ)/ تح. حبيب الرحمن الأعظمي/ دار الكتب العلمية – بيروت .
ـ زهرة التفاسير/ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ)/ دار الفكر العربي/ عدد الأجزاء: ١٠.
ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك/ علي بن محمد بن عيسى الأُشْمُوني الشافعي ( ٩٠٠هـ)/ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان/ ط١/ ١٤١٩هـ.

ـ شرح التصريح على التوضيح/خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري(٩٠٥هـ) دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان/ ط١/ ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م .

. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ( ٣٩٥هـ) محمد علي بيضون/ ط١.

. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)/تح: أحمد عبد الغفور عطار/دار العلم للملايين–بيروت/ط٤، ١٤٠٧ هـ .

ـ صفة الجنة/ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني (٤٣٠هـ)/ تح. علي رضا عبد الله/دار المأمون للتراث – دمشق / سوريا.

ـ ظاهرة التقارض في النحو العربي/ أحمد محمد عبد الله/ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ـ العربية وعلم اللغة الحديث/د. محمد محمد داوود/ دار غريب ـ القاهرة٢٠٠١م.

. علم الصوتيات د.عبد العزيز علام د. عبد الله ربيع/ مكتبة الرشد/١٤٣٠ هـ.

ـ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي/ محمود السعران/ دار الفكر العربي/ط٢ – القاهرة ١٩٩٧م.

ـ علم اللغة النفسي د. عبد العزيز إبراهيم العصيلي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض/عمادة البحث العلمي / ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م .

ـ علم اللغة النفسي في التراث العربي د. جاسم علي جاسم / مجلة الجامعة الإسلامية / عدد ١٥٤.

ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير/ عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري (١٠٣١هـ)/المكتبة التجارية الكبرى– مصر/ ط١،١٣٥٦ هـ .

ـ القاموس المحيط/ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (٨١٧هـ)/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان/ ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

. كتاب الأفعال/ علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي /(٥١٥هـ)/ عالم الكتب/ ط١ ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

. كتاب التعريفات/علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني ( ٨١٦هـ)/ دار الكتب العلمية بيروت –لبنان/ ط١ ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ( ٥٣٨هـ)/ دار الكتاب العربي – بيروت/ط٣ – ١٤٠٧ هـ.

. لسان العرب/ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى / دار صادر – بيروت/ط٣ – ١٤١٤ هـ.

ـ مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي . مبحث دلالي . مبحث تركيبي) / أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر /١٩٩٤م/ صـ٢٣.

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ)/ تح. حسام الدين القدسي/ مكتبة القدسي، القاهرة/ ١٤١٤ هـ.

ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/ رمضان عبد التواب/ مكتبة الخانجي بالقاهرة/ط٣/ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

ـ محاضرات في علم اللغة النفسي / داوود عبده / المطبوعات الجامعية . الكويت، ط١، ١٩٨٤م.

ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم**/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)/ تح/: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

. معالم السنن/ أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، المعروف بالخطابي (٣٨٨هـ)/ المطبعة العلمية – حلب/ ط١/ ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م.

ـ المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن / د. محمد حسن جبل / مكتبة الآداب / ط١ / ٢٠١٠م .
ـ معجم الفروق اللغوية/ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران العسكري (٣٩٥هـ ) / مؤسسة النشر الإسلامي / ط١، ١٤١٢هـ.
. المعجم الكبير/ سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ)/ تح. حمدي بن عبد المجيد السلفي/ مكتبة ابن تيمية – القاهرة/ ط٢.
. معجم اللغة العربية المعاصرة/ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل/ عالم الكتب/ ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن/ د. محمد فؤاد عبد الباقي/دار ومطابع الشعب .
ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار /أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ)/ دار ابن حزم، بيروت – لبنان/ ط١، ١٤٢٦ هـ .
ـ مفاتيح الغيب / أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي ( ٦٠٦هـ)/ دار إحياء التراث العربي – بيروت/ط٣ – ١٤٢٠ هـ.
. المفردات في غريب القرآن / أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان الداودي/ دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت/ط١ – ١٤١٢ هـ.
ـ المفصل في صنعة الإعراب/ أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (٥٣٨هـ) تح: د. علي بو ملحم/ مكتبة الهلال – بيروت/ط١، ١٩٩٣م..
ـ مقال القلب في القرآن الكريم / د. بلبل عبد الكريم /تاريخ الإضافة /٧ـ ١١ ٢٠٠٩م– ١٩/من ذي القعدة/١٤٣٠ هـ / . شبكة الألوكة الشرعية.
ـ مقاييس اللغة / أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ( ٣٩٥هـ)/تح: عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/ ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
ـ مقدمة ابن خلدون تح. علي عبد الواحد وافي، ط٣، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

ـ من بلاغة القرآن/ أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (١٣٨٤هـ)/ نهضه مصر – القاهرة/ ٢٠٠٥.

. نتائج الفكر في النحو/أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ( ٥٨١هـ)/دار الكتب العلمية – بيروت/ط١: ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م.

ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ جمال الدين أبو الفرج الجوزي / تح. محمد عبد الكريم كاظم الراضي/ مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت/ ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

ـ النظرية السلوكية (المنهج ونظريات التعلم) / نجود بنت فهد الدوسري / إشراف أ.د. حمد عبد الله القميزي / جامعة الأمير / سطام بن عبد العزيز / كلية التربية بالخرج / قسم المناهج وطرق التدريس / ورقة عمل مقرر المنهج ونظريات التعلم / ١٤٤٠/١٤٤١هـ.

. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ)/ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

. النفس والروح وشرح قواهما / الإمام فخر الدين الرازي / تح. د. محمد صغير حسن معصومي/ مطبوعات معهد الأبحاث الإسلامية . إسلام آباد . باكستان.

ـ وظيفة الصورة الفنية في القرآن/ عبد السلام أحمد الراغب/ دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب/ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.